

فلسطين في النثر الجزائري الحديث

أن يحركوا المشاعر والاحاسيس القومية والدينية في هذه القضية وأن يكتبوا باللمح العامة شأن الشعر في التعبير عن الكلي والعام ، فان كتاب النثر قد تفتنوا لخطر الصهيونية قبل هذا الوقت ، وساعدهم الشكل على توضيح حقيقة الصهيونية من جهة وتعميق أحداث وواقف القضية من جهة ثانية ، ثم بيان دور الاستعمار الغربي في التآمر على فلسطين والعرب من جهة ثالثة .

ومرة أخرى أقول انني لست في حاجة الى ان أعدد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي ، كما انه لا حاجة بنا الى أن نقارن بين واقع فلسطينين بعد ان تآمر عليها الاستعمار والصهيونية العالمية ، وبين الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، فكلما البلدين عرف الاستعمار الاستيطاني وذاق الازهَاب بشتى صورته وأشكاله وتعرض لحاولات القضاء على مقوماته الاصيلية من لفسة ودين وتاريخ وحضارة ، بل عرف أخطر من هذا ، محاولة الفساء كيانه ومحوه من الوجود ، وهذا ما يفسر أيضا اهتمام الكتاب والشعراء بنكبة فلسطين ويكشف عن احساس حاد عنيف ضد الاستعمار والتسلط والغزو الاجنبي .

ولعل هذا الشعور العميق بهذه المأساة التي حدثت في فلسطين انطلاقا من واقع مشابه في الماضي هو الذي جعل الشعب الجزائري منذ عشرات السنين لا ينسى الجرح الذي تركته هذه القضية فسي نفوس أبنائه ، وكان الشعراء والكتاب السنة هذا الشعب المعبرين عن أفكاره وعواطفه ، لكن هناك عوامل أخرى غير ما ذكرنا أسهمت في تعميق هذا الاحساس بالنكبة وضاعفت من الاهتمام بها ، وفي مقدمتها احتكاك الجزائريين باليهود منذ قرون طويلة ، مما اتاح لهم فرصة فهم نفسياتهم جيدا وادراك اخلاقهم التي تتناقض تماما مع اخلاق الجزائريين والعرب عامة ، فالمعروف عن اليهود في الجزائر وقت الاحتلال انهم استحلوا كل مباح واستخدموا كافة السبل من أجل الحصول على المال ، وقد كان الربا مثلا احد وسائلهم للربح وهو ما رفضه الشعب الجزائري بوازع الدين أو الاخلاق الانسانية عامة .

يضاف الى ذلك عامل السياسة ، فقد لعب أفراد منهم دورا بارزا في الحياة السياسية بالجزائر عن طريق الاقتصاد منذ القرن الثامن عشر، خاصة حين تولى الحكم أحد الدايات الاتراك وهو «مصطفى باشا» الذي كان جاهلا ساذجا فأطلق العنان لاحتكار اليهود المعروفين بحيث أصبح هو الحاكم الفعلي للبلاد ، الامر الذي أدى الى ثورة الجزائريين سنة 1805 على هذا الوضع بقيادة المجاهد « يحيى » الذي قضى على هذا اليهودي .

الدارس للادب الجزائري الحديث يلحظ ظاهرة متميزة فسي كتابات الجزائريين شعرا ونثرا ، وهي الانطلاق من الواقع الوطني الى الواقع العربي ، من رؤية محلية الى رؤية عربية شاملة ، بحيث يندر أن نجد قصيدة تتحدث عن قضية وطنية وترتكز عليها وحدها دون الربط بينها وبين القضايا العربية الاخرى .

ولا عجب في ذلك ، فالجزائر رغم الستار الحديدي الذي ضربه حولها الاستعمار الفرنسي منذ الاحتلال حتى الاستقلال لم تنفصل عن الوطن العربي ، ووقف الشعب الجزائري وادباؤه ضد سياسة العزل والتفرقة بنفس القوة التي رفضوا بها سياسة الانعماج في الجنسية الاجنبية . ومن هنا نشأ ذلك التعاطف بل ذلك الترابط الوثيق بين الوطن وبين العروبة ، بين الوطنية والقومية ، بين الجزائر والعالم العربي ، الامر الذي يفسر تعلق الجزائريين بالشرق وبالامة العربية ، كما يفسر الاهتمام بقضية فلسطين بوجه خاص ، بحيث لا نقالي حين نقول ان الانتاج الادبي الجزائري ، شعرا ونثرا ، في هذا القرن ، دار حول محاور ثلاثة : الوطنية ، العروبة والوحدة العربية ، فلسطين .

فما من قضية عربية الا ورائنا صداها في أقلام الجزائريين وكتاباتهم ، وما من كارثة وقعت في الوطن العربي ، الا وانفلج بها الابداء الجزائريون ، وما من نصر تحقق في جزء من الامة العربية الا وسارعوا الى التعبير عنه فرحا وحبورا .

ولا داعي لان نعبد الى الازهان المواقف التي حركت الابداء الجزائريين بأن يتجاوبوا مع الوطن العربي ، فهي المواقف نفسها التي حركت أقلام الابداء العرب الاشقاء حين نار الشعب الجزائري في فاتح نوفمبر 1954 .

ولكن الظاهرة التي تلفت انتباه الدارس هي ان الابداء الجزائريين لم يعنوا بقضية فلسطين فحسب ، ولكنهم تفتنوا منذ وقت مبكر الى المؤامرة عليها ، وأعني بالابداء هنا ، كتاب النثر على وجه الخصوص. صحيح ان الشعراء عبروا عن هذه القضية حين ظهرت على المسرح العالمي منذ العشرينات ، وتابوها في مراحلها المختلفة منذ اعلان «وعد بلفور» 1917 مرورا بانتفاضات الشعب الفلسطيني في الثلاثينات ثم رفضه لقرار التقسيم ووقوفها الى جانب فلسطين والعرب انثناء حرب 1948 حتى نسكة 1967 ، ثم تجاوبا مع انتصارات الشـسوار الفلسطينيين وابطال المقاومة بعد ذلك ، غير ان الشعر اذا كان أقدر على تصوير هذه القضية والتعبير عنها فنيا بحيث استطاع الشعراء

دفعة واحدة ، وقد أدى هذا القرار الى سخط الجزائريين ، لانه يمطي اليهود ما للفرنسيين من حقوق وبالتالي ما لهم من تفوق وامتياز بينما يجعل من الجزائريين مواطنين من « الدرجة الثالثة » . بل ان هذا القرار اثار الفرنسيين انفسهم ، فالمعروف ان الفرنسي عامسة يتعصب لوطنه وجنسه وقوميته ولا ينظر للاجنبي المتجنس بالفرنسية نظرة احترام ، كما ان القرار المذكور أدى الى ظهور جالية كبيرة من الاوروبيين الاجانب في الجزائر ، مما جعل بعض الباحثين يرى ان ثورة « القراني » ١٨٧١ كان من أسبابها ان لم يكن سببها الرئيسي فرار كريميو هذا (٦) .

ويسجل رحالة آخر هو « بيرم الخامس التونسي » الذي زار الجزائر في أواخر السبعينات من القرن الماضي هذه العبارة : « وترى اليهود أحرز للحرية في معاملة الفرنسيين وخطابهم من المسلمين » (٧) .

هذه هي الارضية التي مهدت للكتاب بان ينطلقوا من هذا الماضي وهذه الوقائع فينبهوا الى خطر اليهود والى أهدافهم عن تجربة وإدراك وتاريخ ، وهذا ما يفسر - كما ذكرت آنفا - تلك العناية الخاصة بقضية فلسطين والخوف عليها من أطماع الصهيونية وخاصة حين أخذ اليهود في الجزائر في العشرينات يجندون انفسهم في جمعيات تدافع عن مصالحهم (٨) .

ومع هذا كله فان الجزائريين لم يعادوا اليهود ولم تظهر بينهم تلك الدعوة التي ترفض « السامية » ، ولم ينطلق كتابهم من عاطفة وطنية او قومية او دينية ، بل ان دعوة « اللاسامية » انتشرت بين الفرنسيين منذ القرن الماضي بحيث ظهر تيار في الصحافة الفرنسية يهاجم اليهود ويستعدي عليهم السلطة ، وقد تزعم هذه الحركة المعمرن الفرنسيون (الكولون) ففدوا العداوة ضد اليهود بصورة عنيفة ، وبرز من بين هؤلاء المعمرين « ماكس ريجي » رئيس بلدية الجزائر أواخر التسعينات من القرن الماضي (٩) .

ولقد فرح الفرنسيون حين ألفي « مرسوم كريميو » بعد الحرب العالمية الثانية « فهزتهم النشوة النصرية ، وحتى أولئك النواب أمثال « مورينو » وغيره الذين لم يتبواوا مقاعد النيابة الا بفضل الناخبين اليهود فقد حببوا هذا الالغاء وصفقوا له » (١٠) .

وقد كتب « مورينو » هذا قائلا : « ان اضطرابات سنة ١٨٩٦ المناوئة لليهود ما كان سببها الا مرسوم كريميو ومطالبتنا بالفائه ، واليوم ها نحن بلفنا هدفنا ، نعم فقد ألفي هذا المرسوم المشؤوم ، وعاد اليهودي الى منصبه وهو منصب الاهلي (الانديجان) الجزائري الذي لم يكن ليخرج منه ، وما أخرج منه الا (خرق) (١١) قانون سافر اقتطفه اليهودي كريميو .. » (١٢) .

لذلك نشأت صحف فرنسية في الجزائر تندد باليهود وتشن

على ان نفوذ اليهود قد تعظم بعد ذلك حين أصبح اليهوديان « بكري وبوشناق » يتمتعان بمكانة مرموقة لدى انباشوات ، حتى ان « بوشناق » كان : « يستقبل فواصل السدول باسم الباشا » (١) ، وهذه المكانة التي تتمتع بها هذان الرجلان ترجع الى سيطرتهم على التجارة بين الجزائر وفرنسا بحيث أصبحا واسطة بين الدولتين قبل الاحتلال ، بل انهما كانا يقومان بالسمسرة لحسابهما الخاص ، وربما كان لهما دور في توتر الجسو بين فرنسا والجزائر قبيل الفزو مباشرة .

ويذكر بعض الرحالة الذين عاصروا الاحتلال مثل « سيمون بفايفر » ان الاكتشاريين انهوا اليهود بالتواؤ مع جيش الاحتلال الفرنسي « ولم يزدوه بالمواد الغذائية فحسب بل وانهم دلوه ايضا على جميع الطرق التي تسهل له الصعود الى الجبال » (٢) .

ولكي ندرك شعور الجزائريين منذ ذلك التاريخ تجاه اليهود ، لا بد ان نسجل ما قاله هذا الرحالة الالمانى الذي شاهد بنفسه دور اليهود في مساعدة الاستعمار الفرنسي وتكريمهم للجزائريين الذين أناحوا تم العيش في أمن وسلام ، بل أناحوا لهم الاستقرار والاطمئنان ، فيذكر هذا الرحالة بان السلب الذي تعرض له الجزائريون في بداية الاحتلال اسهم فيه حتى المترجمون من اليهود ، ويقول بالنص :

« ... وهم في الغالب من اليهود الذين يرتدون الزي العسكري الفرنسي فدنسوه بشكل مثير لتغضب ، فقد ذهب مثلا يهودي من تونس الى المراعي عدة مرات وساق بنفسه مئات من الاغنام ليبيها في المدينة الى أمثاله ، وكذلك كان يفعل بالخيول والبغال ، وقد حدث ذلك في الايام الاولى التي عمت فيها الفوضى ، وكان الاهالي يختفون بمجرد رؤية الزي الفرنسي » (٣) .

وهناك وقائع كثيرة يسوقها هذا الرحالة الاجنبي تبين موقف اليهود تجاه الجزائريين وتكسمرهم لهم ، بمجرد ان بدأ الفزو ، فاستغلوا الظروف والفوضى التي سادت لينهبوا ويسلبوا ، ولم يتورعوا حتى عن نهب النساء ، كان يرمي احداهم كمية من الاسلحة بفناء دار تملكها سيدة جزائرية لينهبها باخفاء السلاح والتأمر على السلطة بعد ان يلبس بزة عسكرية مع جماعة معه ويغيرها بين دفع اربعين ألف دينار له او كشف أمرها للسلطة الفرنسية (٤) .

هذه الوقائع وغيرها هي التي نهت الجزائريين الى أخسلاق اليهود وسلوكهم ، بل ان موقفهم - أي اليهود - اتضح أكثر حين ساندتهم الادارة الاستعمارية وميزتهم عن الجزائريين منذ بداية الاحتلال ، الامر الذي جعلهم يظهرون عداوتهم السافرة للجزائريين وينامرون ضدهم ويعتدون عليهم في وضح النهار . يقول هذا الرحالة كذلك : « ... وما أن رأى اليهود ان الفرنسيين يفضلونهم على أبناء البلاد حتى ركبوا رؤوسهم وتظاهروا بالشجاعة واتسمت تصرفاتهم بالجرأة والوقاحة ، فكانوا يعتقدون على المسلمين لا سيما الاطفال منهم حين يلتقون بهم في طريقهم ، ويسئون معاملتهم بصورة فظيعة » (٥) .

وقد منحت السلطات الاستعمارية لليهود بعد الاحتلال مباشرة امتيازات كبيرة في الادارة وفي الاقتصاد والتجارة ، واصبح لهم دور بارز في الحياة السياسية والاقتصادية في الجزائر ، ولكن خطرهم بلغ الذروة بعد فرار كريميو ١٨٧٠ الذي جعل من اليهود فرانسيسين

(١) « تاريخ الجزائر الحديث » د. سعد الله ص ١٢ - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٠ .

(٢) انظر : مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر (سيمون بفايفر) ترجمة د. ابو العيد دودو ، ص ٩٨ - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ١٩٧٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٦) كتاب الجزائر - أحمد توفيق المدني - ص ٦١ - ٦٢ طبعة ثانية - دار المعارف ١٩٦٢ .

(٧) « صفوة الاعتبار بمسنود الامصار والافكار » محمد بيرم الخامس التونسي : ٤ ، ص ١٤ ، الطبعة الاسلامية بالقاهرة ١٨٨٤ .

(٨) جريدة « التقدم » - الجزائر - ١ نوفمبر ١٩٢٢ .

(٩) انظر « ليل الاستعمار » فرحات عباس ، ص ٩٤ ، ترجمة ابو بكر رحال - مطبعة فضالة بالمغرب .

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(١١) هكذا في النص المترجم ، والمعنى قد يضطرب بسبب الترجمة الحرفية غير الدقيقة أحيانا كما هو الملاحظ في هذا النص وفي السابق عليه .

(١٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

عليهم حربا سافرة وتطالب باضطهادهم (١٢) .

بل انه يصرح بخطر الصهيونية منذ وقت مبكر حتى قبل اعلان « وعد بلفور » وينبه العرب الى هذا الخطر الذي لا يضر بالفلسطينيين وحدهم وانما يضر بالعرب اجمعين حين يقول : « ان التفاهم مع الصهيونية مستحيل لان في ذلك اغسارها بهم وبزعامتهم ، والبلاد المقدسة اشراها آباء العرب بدمائهم .. » (١٧) .

فالكتاب يبدو هنا دقيقا واعبسا بالتحيفة الصهيونية مكرها لاهدافها ، وأيضا يدل على انه كان يتابع تطورات دعواتها في تكوين وطن قومي لليهود في فلسطين منذ مؤتمر « بال » ، بل اكثر من ذلك ان الكاتب أثناء الحرب العالمية الاولى كتب مبينا خطر مؤتمر « بال » وقراراته التي نشرت في كتاب بالفرنسية ، كما ندد باجتماعات اليهود في فرنسا حيث يقول عنهم انهم : « دعاوا أبناء اسرائيل الى اعانسة المشروع المقدس واطهار راية سليمان » (١٨) .

وربنا الكاتب الى ما قاله أحدهم : « بأن اليهود في فلسطين سينجحون على رغم الهلال والصليب ، لان العرب امة متكاسلة لا تحب العمل ، واليهود امة نشيطة ستستولي بنشاطها على الارض المقدسة .. » (١٩) .

فهذا الكاتب اذن كان واعياً منذ زمن طويل بما يحكيه اليهود ضد العرب وضد فلسطين بوجه خاص ، ويرد على « رشيد رضا » الذي اقترح :

« اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان أمكن ، واما صرف قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة .. » (٢٠) .

ولكن الكاتب الجزائري يرد عليه في عنف ، يرد على الحل الاستسلامي المبكر الذي نادى به « رشيد رضا » فيقول « راسم » :

« هذا خطا فاحش من صاحب النار لانه يريد ان يرضي الدخلاء بتنازل أهل البلاد اليهم حتى يضربوا بهم بالمساواة .. » (٢١) .

على انه في هذه الفترة التي اشراها اليها ، وحتى قبل الحرب العالمية الاولى ، نلاحظ كتابا آخرين - مثل « عمر بن قنور » - يهتمون بتأثير اليهود في تركيا وفي أوروبا وكيف انهم سيطروا - بما يملكون من مال وما يستخدمون من مؤامرات - على الحكومات في تركيا وأوروبا منذ القرن الماضي ، كما يضرب أمثلة من التاريخ لصب فيها اليهود دورا مخربا (٢٢) .

وإذا كنا لم نشر على انتاج كبير قبل « وعد بلفور » سوى ما ذكرنا فاتنا بعد هذا الوعد نلاحظ سيلا جارفا من المقالات في مختلف الصحف تندد به وبالاستعمار الانكليزي الذي فرض حمايته بالقوة على فلسطين ، وبالتالي مهد الطريق لاقامة وطن لليهود على أرضها ، بل تهاجم تلك الموجة التي طفت في الجزائر وتمثلت في دعوة اليهود الى اغائة أمثالهم في فلسطين وظهور شخصيات يهودية نشيء الجمعيات وتجمع الاموال بقصد ارسالها الى يهود فلسطين .

وقد قابلت هذه الموجة موجة أخرى من الجزائريين على لسان كتابها تدعو الشعب الى اليقظة والحذر وعدم التورط في اعطاء اليهود اموالا لن تبقى في الجزائر بل مالها الذهاب الى فلسطين لتستخدم ضد العرب والمسلمين هناك .

ولعل الكاتب « محمد السعيد الزاهري » كان من بين من عنوا - **النتمة على الصفحة - ٨٤** -

هذا هو المناخ الذي ساد الجزائر في القرن الماضي ، مناخ عنصري منعصب أحدثه الفرنسيون اليهود والاجانب الاوروبيون واصطلى بناره الجزائريون واحسوا بالاختناق فيه ، ولكنهم لم يستجيبوا لهذه الروح العنصرية التي تكره العرب ويحقد عليهم .

ولا شك في ان الكتاب الجزائريين ادركوا خطر اليهود بعدد ان ظهرت الحركة الصهيونية لتلجود عقب مؤتمر « بال » ١٨٩٧ الذي دعا الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وتأكدوا من نواياهم بحكم انهم أقرب من غيرهم الى معرفة ما يجري في أوروبا بواسطة الصحف الفرنسية سواء في الجزائر أو في فرنسا ، وكذلك بحكم الاحتكاك المباشر بالعرب منذ الاحتلال .

ونحن نفرق بين اسلوبين فيما كتبه الكتاب في هذا الموضوع ، الاسلوب الصحفي الذي ينقل الخبر أو يحلله ويعلق عليه دون اهتمام بالصياغة وجمال التعبير بل ودون تصوير ، انما المهم هو بيان الحقيقة وتصوير الناس بواقع القضية وبما يترتب عنها مسن نتائج ، وهذا الاسلوب لا يهنا في هذا البحث ، وانما الذي نمنى به هو ذلك النشر الادبي الذي يعبر فيه صاحبه عن انفعاله تجاه القضية ويصطنع فيه الاستنوب الادبي سواء في عبارته أو صياغته أو انشائه ، ويجسم فيه شعوره نحو فلسطين .

على اننا من الناحية المنهجية ومن الناحية التاريخية سنشير الى الاسلوبين معا ثم نركز على الاسلوب الثاني .

ففي الحديث عن اخلاق اليهود انطلق الكتاب الجزائريون من المن الواقع ، فنجدهم يحذرون المواطنين من شرهم ومن استخدامهم لمختلف السبل لتحقيق منافعهم بصرف النظر عن جميع القيم ، وقد ظهر مثلا مقال في جريدة « الحق » وهي جريدة وطنية صدرت في أواخر القرن الماضي وصف فيه كاتبه « ما يتعرض له الاهالي النساء من معاملات اليهود القاسية التي بدلت نعيمهم بؤسا وغناهم فقرا وجعلت منهم غرباء في اوطانهم لا يملكون شيئا ، لان اولئك الجشعين قد فسروا الافواه لالتهم كل ما تصل اليه أيديهم .. » (١٤) .

وكما سبق أن ذكرنا ان هؤلاء الكتاب تظنوا لخطر اليهود منذ فترة مبكرة ، أي منذ أواخر القرن الماضي ، فكتب « عمر راسم » سلسلة مقالات : « في المسألة اليهودية » نشرت في « المرشد » و « مرشد الأمة » أعطى فيها رايه الخاص .. » (١٥) .

و « عمر راسم » في رايه هو أول كاتب جزائري تظن له هذه القضية ، فتراه يحذر الجزائريين من طرفهم السيئة في افساد الشباب الجزائري ، بحيث يستدرجونهم الى اتحلل من الاخلاق ويفروته بالادمان على الخمر أو القمار وما الى ذلك ، فيذكر بالنص :

« اليهود وحدهم الذين أخذوا يسعون في تشتيت شملنا ونهب أرواقنا بواسطة وباء الخمر ، وقد نالوا منافعهم وصرنا لهم أسارى وعبيدا .. » (١٦) .

(١٢) يذكر محمد ناصر في اطروحته المخطوطة « المسألة الصحفية الجزائرية » - المجلد الاول - : انه في الفترة ما بين ١٨٨٥ - ١٩٠٥ ظهرت صحف تحمل عنوان « ضد اليهود » . انظر الاطروحة ففيها معلومات قيمة في هذا الموضوع .

(١٤) انظر : (المقالة الصحفية الجزائرية) - محمد ناصر - مخطوط .

(١٥) « تقويم الاخلاق » - محمد بن العابد الجليلي ، ص ٤٩ - المطبعة الاسلامية بقسنطينة - الجزائر ١٩٢٧ . والجريدتان اللتان ذكرهما صاحب هذا التقويم صدرتا أواخر القرن الماضي مثل جريدة « الحق » .

(١٦) انظر : « قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر » - عبد الله ركيبي ، ص ٤٢ - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٠ .

فلسطين في النشر الجزائري الحديث

تابع المنشور على الصفحة - ١٤ -

ومن العنصرية والاستعمار ، لذلك ينسب الجزائريين الى ما حل بارض النبوته ويذكر بان الصهاينة قد « اغتصبوا البراق الشريف ورووه كنيسة لهم واعتدوا على المسجد الاقصى في القدس الشريف وهم يحاولون ان يتخونه كنيسة لهم أيضا .. » (٢٨) .

تم يوجه الخطاب للجزائريين بقوله : « وهل سمعتم بان اخوانكم المسلمين الذين تركتموهم هنالك في فلسطين سبنة للمسجد الاقصى وحراسا للبراق الشريف ، قد جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ودافعوا عن البراق وعن المسجد الاقصى ثم اغتالهم الصهيونيه اليهودية وفتكت بهم فتكا ذريعا .. » (٢٩) .

ثم يبين موقف العالم الاسلامي الذي ساند الفلسطينيين في تلك الفترة وجمع لهم الاموال وفتح الاكتتابات (وما بقي غير الجزائريين) (٣٠) . فهو بهذا يشير نخوة أبناء وطنه رغم انه يعرف ان الاستعمار الفرنسي يف بمرصاد لهم ولعاطفتهم مع فلسطين او غيرها من الوطن العربي ، ولكنه بعد ان استخدم التكرار في الفقرة الاولى يحشد في فقرة نالية صورا تعبر عن حزن الجزائريين وشعورهم بالالم العميق لما يجري في فلسطين مطالبا اياهم بترجمة احساسهم هذا الى مساعدات لاخوانهم الفلسطينيين :

« ارى في الجزائر اعيانا باكية تفيض بالدمع على ضحايا البراق الشريف ، وطولبا دامية ملؤها الالم والحسرة على ما اصاب المسلمين حرس البراق الشريف . عواطف هائجة ساخطة على اولئك اللصوص الصهيونيين الذين اغتصبوا البراق وعلى سياسة الانكليز الجائرة التي تجور على المسلمين وتحايي اليهود في فلسطين ، والى الآن لم تقم باي عمل يقنع اولئك المسلمين المنكوبين .. » (٣١) .

على ان الكاتب يقارن بين موقف الجزائريين في مساعدتهم لاخوانهم الليبيين في حرب طرابلس ضد الايطاليين وبين فلسطين التي تترقب منهم هذا الموقف (٣٢) .

ولا شك ان احداث فلسطين ١٩٢٨ وما بعدها هي التي حركت وجدان هذا الكاتب بمثل هذا الاسلوب الحماسي المتفجر عاطفة ، بل انه سخر من بعض المنظمات الدينية الجزائرية التي لم تلتفت لفلسطين واهتمت بما يجري في الحجاز عندما قامت ثورة « الوهابيين » فتباكت على الاسلام خوفا عليه من هذه الحركة الجديدة ، ويهاجم بشكل خاص اولئك « الطرقيين » واصحاب الزوايا من التصوفة الذين يمثلون الفكر الرجعي المتحجر ويتباكون على القباب والقبور ولكنهم لا يحركون ساكنا من اجل المسجد الاقصى الذي يتعرض للاحتلال :

« .. واتمم ايها الطرقيون ان كان يسوؤكم من جلالة ملك الحجاز ان يسلم القبور ويهدم القباب فهلا يسوؤكم من اليهود ان يفتصبوا البراق الشريف ويردوه كنيسة لهم ، فهل لكم ان تسترجعوا البراق الشريف وتحفظوا بالمسجد الاقصى ببعض ما تنفقونه حول الاضرحة والقبور من نذور وصدقات .. » (٣٣) .

ومن المؤكد ان الزاهري في هذا المقال وغيره انما انفع هو وامثاله في ذلك الوقت بما يجري في فلسطين بعد ظهور قضية « حائط المبكى » الذي اتخذ منه اليهود شعارا يستترون وراءه حتى يحققوا اهدافهم .

وهو بعد ذلك يوجه نداء حاربا لكل المنظمات والجمعيات والافراد ليقفوا الى جانب الفلسطينيين ، فقد خاطب رجال « نادي الترقى » ورجال الصحافة يدعوهم الى ان يصوروا « مرارة الحن والشهائد

بصورة خاصة بهذا الموضوع في تلك الحقبة ، واطهر وعيا بما يقوم به اليهود في الجزائر لنصرة امثالهم في فلسطين ، وقد اتاره أحد المعامين اليهود واسمه « ناظان لابيرن » الذي حل بالجزائر من « لندن جمعية كيرن هايسود اليهودية يدعو اخوانه الاسرائيليين لاعانة معمرى أرض الميعاد » . ويقول « الزاهري » عنه ايضا : « وقد احتفل بسه يهود بلادنا بكل آبهة واکرام واجتمعوا اليه مع رؤساء « الاشتراكية » في قاعة مركز المسامر والبحرية حيث ألقى خطابا يحرض فيه الهمة اليهودية لتأييد دين آبائهم وواجدهم » (٣٤) .

ولكي يستحث الكتاب الجزائريين والمسلمين والعرب عامة على التثبث بالوطن وبالقومية يشرح مجهودات اليهود لانتشاء وطن رغم تشتتهم في بلدان كثيرة ورغم نيههم منذ آلاف السنين ، وينافى ادعاء اليهود في فلسطين وحققهم في أرضها « بامر الرب » كما يزعمون ، ويفند حججهم بالمنطق والواقع ، فاليهود اذا كانوا قد خرجوا منها فلماذا ؟ ومن اخرجهم ؟ فالارض لن يعي فيها وحافظ عليها ولم يتركها .

والكاتب لا يرى في اطماع اليهود سوى نون من اطماع الاستعمار ورغبته في استقلال الشعوب :

« يقول اليهود ان فلسطين ملك لهم بامر الرب ، واذا كان الامر كذلك فمن الذي اخرجهم منها ، هل هو اقوى من الرب ؟ وعلى كل حال فهي ليست لهم لان اهاليها هم الذين لم يفرقوها ومكثوا فيها من قبل اتيه ائى اليوم ، ولم يامر الرب ولم يوافق العدل على ان لا يملك تلك الارض الا المتدينين باليهودية ، بل انحق الذي لا مراء فيه هو ان استعمار فلسطين باليهود هو ظلم كظم سائر الاستعمار » (٣٥) . ولذلك يشجب موقف اليهود في الجزائر ويرفض ان ترسل الاموال الى فلسطين لتستخدم ضد « اهالي فلسطين الحقيقيين » (٣٥) ثم يوجه نقده لهذا المحامي وامثاله من اليهود وزعمائهم الذين يتحدون شعور الجزائريين ويهددهم : « وليعلموا ان فلسطين ارض عربية اسلامية وان اموالنا وازواحنا التي ازهدت في الحرب الاخيرة لا تذهب وراء سعي المرابين .. » (٣٦) .

فالزاهري من اكثر الكتاب تقطنا الى صلة اليهود في الجزائر بامثالهم في فلسطين ، بل باتحاد يهود العالم ضد فلسطين وضد العرب . واذا كان في المقال السابق قد نافى القضية بالمنطق والحجة واستخدم أسلوب الاقتاع ، فانه في مقال آخر قد عبر عن شعوره واحساسه وانفعاله بالقضية حين ظهر طفيان الصهيونية في فلسطين سنة ١٩٢٩ ، وربما بعد ثورة الشعب الفلسطيني في اواخر العشرينات التي كان رد الاستعمار الانكليزي والصهيونية عليها تلك المذابيح وصنوف الاضطهاد التي شنت على ابناء فلسطين مما حرك في نفس الكاتب هذه الصرخة الملوية مطالبا بالوقوف الى جانب فلسطين في مقاله : « فظان الصهيونية في فلسطين ، الاكتتاب الاكتاب ، الفوت الفوت ايها المسلمون » (٣٧) .

وحتى يحرك الكاتب مشاعر الناس بضرب على وتر الدين لانه اكثر تأثيرا في الجزائريين الذين كانوا يعانوا ايضا من اضطهاد الدين

(٣٨) « البرق » ٢٠ - ٦ - ١٩٢٧ . (وكان الزاهري يوقع فيه باسم « الراصد » ، والملاحظ انه يقصد بالاشتراكية بعض الاحزاب التي ترفع شعار الاشتراكية في ذلك الوقت) .

(٣٩) المصدر السابق .

(٤٠) المصدر السابق .

(٤١) المصدر السابق .

(٤٢) « الاصلاح » ١٢ - ١٢ - ١٩٢٩ .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) المصدر السابق .

(٣٠) المصدر السابق .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) المصدر السابق .

(٣٣) المصدر السابق .

التي ذاقها المسلمون هناك ...» (٣٤) .

كما يقارن مرة أخرى بين اليهود والمسلمين وينبه الأذهان إلى ما يفعله اليهود من أجسـل أخوانهم وما لا يفعله المسلمون من أجسـل الفلسطينيين :

« ان اليهود في كل موضع يؤديون أخوانهم في فلسطين على باطلهم المنكر ، فلماذا نحن المسلمين لا نؤيد أخواننا هناك على حقهم المعروف القدس ؟ » (٣٥) .

والشيء الملفت للنظر هنا ان الصحافة الجزائرية في هذه المرحلة أولت عناية خاصة لأخبار فلسطين ، فما من جريدة الا ونقلت ما يجري هناك من أحداث خطيرة وما يحاك ضد فلسطين وسكانها الاصيلين (٣٦) وكانت هذه الأخبار تنصدر الصحف بضوايين بارزة مثل : « الحالة في القدس » ، « قلاقل فلسطين » وغيرها ، بل ان هذه الصحف كانت تنقل المقالات التي تنصدر في صحف فرنسية كجريدة « لا بريس لير » الجزائرية .

وهناك كاتب آخر اهتم بقضية فلسطين وكرس لها مقالات ضافية حل فيها ادعاء الصهيونية في « حافظ المبكى » ، وهو « ابو اليقظان » صاحب جريدة « وادي ميزاب » ، فقد حلل الأحداث التي وقعت بسبب ذلك الحائط ، وقال ان اثاره الموضوع لا يرجع الى عقيدة دينية او الى حق شرعي بل يرجع الى أسباب أخرى أهم من ذلك واخطر :

« .. انما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالبه في غلصمة (٣٧) العالم ، الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الاسلام وجنة الارض ومقر أنبياء الله فلسطين .. » (٣٨) .

فالكاتب ينظر الى الادعاء في حافظ المبكى نظرة أخرى ، فهو يرى في الصهيونية سرطانا واستعمارا ، تسمى السى احتلال الارض واستغلال خيراتها شأن الاستعمار ، والكاتب يوجه سهام نقده السى حكومة الانكليز التي حمت أطماع اليهود بل وحمته جرائمهم التي ارتكبوها ضد الفلسطينيين ، ويسخر من وفاتها لليهود منذ « وعد بلفور » ، وتكرها للعرب رغم وعدما لهم قبل ذلك ، ثم يسخر أيضا من اعطائها أرضا ليست لها : « واذا حملها سخاؤها على أن تتكرم على آية طائفة شاءت فذلك شأنها ولا دخل لنا في ذلك ، وانما نقول لها يجب ان يكون السخاء من جيبيك ومن بلادك لا من جيوب الناس وبلادهم .. » (٣٩) .

ولكن كاتباً آخر يختار أسلوب الهجوم العناد والسخط على الانكليز وعلى مؤامراتهم ، كما يختار أسلوب الفخر بمقاومة الفلسطينيين واستشهادهم ويحث الفلسطينيين على التضحية ، فاذا كانوا قد قدموا الشهداء الذين اعدمهم الانكليز سنة ١٩٣٠ ، فان ذلك هو ثمن الحرية وطريقها : « لم تدفن في تلك القبور الثلاثة جثث الابطال الشهداء الخالدين ، كلا ، لقد دفن أولئك في القلوب العربية الدامية ، انما الذي دفن في تلك القبور أبديا هو سياسة حسن الظن في الانكليز واعتماد الضعيف على القوي لحرآز حقه ، سياسة التكف والاستجداء والابتدال ، لقد حال الموت الزؤام بين الانكليز ورجال العرب ، فلن يكون بينهما في المستقبل الا الموت الزؤام .. » (٤٠) .

فنحن نرى من هذا النص ان « أحمد توفيق المدني » الذي كان من الكتاب الثائرين والمكثرين من الحديث عن فلسطين الرافضين للحلول الاستسلامية ، وهو نفس الموقف الذي اتخذته « عمر راسم » منذ اكثر

(٣٤) المصدر السابق .

(٣٥) المصدر السابق .

(٣٦) « المقالة الصحفية الجزائرية » - محمد ناصر - مخطوط .

(٣٧) الفلصمة هي اللحم بين الرأس والعنق ، وهو يقصد ان الصهيونية تمتص دماء العالم وتسيطر على اقتصاده .

(٣٨) « وادي ميزاب » ٢٥ - ١ - ١٩٣٠ .

(٣٩) المصدر السابق .

(٤٠) « المقالة الصحفية الجزائرية » - محمد ناصر - مخطوط .

من خمس عشرة سنة ، الامر الذي يمثل خطأ واضحا للكتاب الجزائريين في فهمهم ونظرتهم للحلول الحاسمة تجاه هذه القضية ، فهم منذ أخذوا يعالجون ملابسها وأحداثها لم يندفعوا بوعود الانكليز للعرب ، لانهم يعرفون وعود الاستعمار ، ويدركون جيدا ان هذه الوعود انما هي أسلوب لذر الرماد في العيون كلما اشتدت مقاومة الشعوب لنفوذ وسطوته ، فقد وعدت فرنسا الشعب الجزائري باستقلاله منذ الحرب الاولى ، ولكنه بعد أن انتصرت فرنسا وممها الحلفاء لم يحن من ذلك سوى المزيد من القهر والمماطلة بالرغم من التضحيات التي قدمها الجزائريون من أجل « العالم الحر » ومن أجل فرنسا بالذات . واذا كان هناك نفر من الكتاب - وهم قلة - لم يصرحوا بجرأة بموقفهم هذا سواء تجاه الانكليز او فرنسا ، وكانوا يخاطبونهما بأسلوب فيه لين فان أغلب الكتاب كانوا يستخدمون أسلوب الثورة والصرخة والهجوم .

وعوي الكتاب الجزائريين يبدو أيضا في تنبهم للأحداث في فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتبنيه الرأي العام في الجزائر وخارجها الى مناورات بريطانيا التي تظهر للعرب غير ما تبطن وتساند الصهيونية في الخفاء وفي العلن أحيانا كثيرة ، فحين أصدرت « الكتاب الابيض » الذي أغضب اليهود لم تنطل الحيلة على كتاب الجزائر ونددوا بالناوارة التي قصد منها الهاء الفلسطينيين عن حقهم في أرضهم وبلادهم وحريرتهم (٤١) .

هذا موقف الكتاب قبل الثلاثينات ، وهذا ادراكهم للقضية الفلسطينية ومعطياتها ، اما بعد ذلك وحتى الحرب العالمية الثانية فان موقفهم ازداد وضوحا واشتدت دعوتهم الى -مؤازرة الشعب الفلسطيني خاصة بعد أن تأسست « جمعية العلماء » سنة ١٩٣١ وأصبحت لها صحف رسمية تعبر عن أفكارها الإصلاحية، مثل جريدة « البصائر » ومجلة « الشهاب » ، كما انتشرت المقالات حول فلسطين في صحف أخرى لغير هذه الجمعية ، وظهر تيار واضح في كتابات الجزائريين يواكب تطورات القضية ويصر الناس بها وبظروفها ، وهنا نجد الاسلوبين الآتفي الذكر : أسلوب التحليل للأحداث ومعطياتها ، كما نجد أسلوب الحماسة يطفى على كثير من المقالات مما يقربها من النشر الأدبي ، وقد استمر هذا حتى بعد الحرب العالمية الثانية بل حتى قيام ثورة نوفمبر ١٩٥٤ .

ففي مقال بعنوان « قضايا العالم العربي : فلسطين » يعلن صاحبه القطيعة الكاملة بين العرب وأعدائهم ، وربما كان هذا ردا على محاولات الاستعمار الانكليزي لتهنئة خواطر الجميع ، فكان المقال ردا على هذه السياسة الكاذبة وهذه المناورات : « لا وفاق بين الغربيين ، ولا آسآب بينهم ولا هم يتساءلون ، انما هي أحلام وهواجس وحيل ودسآس ، وأضاليل ووساوس » (٤٢) .

بهذا الاسلوب المسجوع يبدأ الكاتب في كشف دور الانكليز حين حاولوا التوفيق بين العرب وأعدائهم بعد أن فشلوا في سياستهم بالقوة ، ولجأوا الى المناورة حتى يشقوا حقوقا غير مشروعة بواسطة هذه الدعوة الى التفاهم بين الفلسطينيين والصهاينة ، وقد حاول بعض اليهود أيضا أن يدعوا الى هذا الوفاق بين العرب واليهود « وازالة سوء التفاهم من بينهم » (٤٣) .

والكاتب في مقاله الذي يتضمن تحليلا واعيا بالأحداث في ذلك الحين ، ينبه الى أن هذا التغير في موقف الصهاينة انما جاء نتيجة تمسك العرب بحقهم في أرضهم ورفضهم لاسلوب الاستجداء واختيارهم

(٤١) « المغرب » ٤ - ٧ - ١٩٣٠ .

(٤٢) « البلاغ » ١ - ٣ - ١٩٣١ بامضاء « مطلع » .

(٤٣) المصدر السابق .

الطابع نفسه الذي اتسم به شعر تلك الفترة .

كما نشرت البيانات في الصحف تندد بالانكليز وانحيازهم لليهود وتشجب أطماع الصهيونية في فلسطين خاصة حين ظهر مشروع « قرار التقسيم » عام ١٩٢٧ ، فرأينا ذلك السيل الجارف من البرقيات والمقالات والبيانات تنشر تباعا في الصحف والمجلات والجرائد الجزائرية تساند أبناء فلسطين وتندد بأعدائهم من مستعمرين وصهاينة ، وكذلك رأينا الاحتجاج ضد عزل « الحاج أمين الحسيني » من رئاسة المجلس الاسلامي الفلسطيني ، فهاجر الى الشام بعد أن أمر الانكليز بالقضاء القبض عليه .

وستكتفي بنموذج واحد من تلك المقالات التي عرضت لهذه القضية بعد الثورة الفلسطينية الكبرى وبعد مشروع التقسيم ، لان عرض هذه المقالات يستلزم دراسة اخرى لا يحتملها هذا الحديث ، ذلك ان قرار « لجنة بيل » التي دعت الى تقسيم فلسطين في السنة المشار اليها احدث ردود فعل عنيفة في نفوس الجزائريين ، وكان من الطبيعي أن ينفعل كتابهم وشعراؤهم لهذا الظلم الصارخ باعتباره ان الادياب اكثر احساسا بالكارثة بل اكثر قدرة على التعبير عنها وعن ابعادها وظروفها ومعطياتها .

والقال الذي عيناها هو كاتب وشاعر جزائري كان يرفض المهادنة لان مزاجه حاد وطبيعته ترفض المساومة ، كما ان البيئة التي ولد وعاش فيها تقديس كل ما له صلة بالتاريخ والتراث العربي الاسلامي . لذلك جاء مقاله صرخة تهنئ أولئك الذين لم يستيقظوا بعد على ما يجري في الارض المقدسة ، هذا الكاتب هو « الطيب العقبي » ، ولكي يؤثر على قرائه يصدر مقاله بهذا النداء العاطفي :

« لبيك ، لبيك فلسطين ، فما أنت لاهلك فقط ، ولكنك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين .. » (٥٠) . ثم يكتب المقال تحت عنوان آخر يوحي فيه بان مسؤولية فلسطين هي مسؤولية العرب والمسلمين ، ويعتبر ما وقع لها كارثة حلت بالجميع .

وفي المقدمة يعبر عن عواطفه الحارة واحساسه الجارف نحو فلسطين حين يبين مكانتها في نفوس العرب والمسلمين باعتبار ان القدس ثالث الحرمين واول القبلتين ، ويحلل القضية الفلسطينية من الوجهة الدينية والتاريخية مؤكدا حق العرب فيها منذ الازل ويستعرض في الوقت نفسه امجاد فلسطين وتاريخها وبطولات ابناءها قديما وحديثا ، ولكنه يضيف بعدا اخر للقضية وهو البعد القومي بينما كثير من المقالات السابقة على مقاله هذا عنيت بالجانب الديني وبالعاطفة الدينية والحث عليها في عرضها للقضية او الدفاع عنها ، وهذا يمثل تطورا للقضية كلها من جهة وتطورا في الحس القومي لدى الكتاب الجزائريين الذين لا يفرقون عادة - بين العروبة والاسلام ، بل وحتى الشعراء انفسهم حين كانوا يتحدثون عن هذه القضية او القضايا العربية الاخرى في تلك الفترة كانوا لا يفرقون بين الامرين .

وهذا التطور هو ما يفسر بداية المقال بالحديث عن العرب وامجادهم ومكانة فلسطين لديهم : « ولم يجهل اي عربي في اي مكان من الدنيا قيمة هذه البلاد العربية ذات الامجاد التالدة والانسار الخالدة .. » (٥١) .

حتى يقول : « لهذا فان كارثة فلسطين لم تكن بالامر الذي يخص اهلها فحسب .. ولكنها كانت مأساة عامة و كارثة عظمى حلت بالعالم

طريق الثورة والنضال ، وهو طريق صعب تعرضوا بسببه لكثير من المحن وذاقوا صنوفا من العذاب وتحملوا ما عجز عن احتماله غيرهم ممن هم في مثل وضعهم : « لقد ذاق أولئك العرب الساكنين انواع الاضطهاد والاذى في سبيل تسكهم بحقهم الطبيعي ودفاعهم عن مسا لا يتصور احتماله في غير اولي النفوس التجارة التي انتهت بهم الى تلك المعاملة الشائنة الى درجة يذهب معها حلم الحليم وصبر الصابر ، فانفجر ذلك البركان الهائل الذي صير فلسطين المقدسة مجسزة بشرية .. » (٤٤) .

ان الكاتب يصور انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الاخذلال الانكليزي وضد الصهيونية ويصور مدى ما عانى منه هذا الشعب العربي المناضل وما تحمله دفاعا عن الارض والحق والعدل ، وهو يعي سبب تراجع الصهاينة ومعهم الانكليز ومحاولاتهم تهدئة هذا البركان - على حد تعبيره - وذلك حين اصطنعوا بالواقع فزالت عن ابصارهم الفشاة « وراوا في الزوايا خبايا وفي العرين ليونا وشعروا بسوء الفبسة وقرهوا سن الندم ولات حين مندم ، وحين لم يمكنهم الدخول من هذا الباب - باب العنف والشدة - راوا من مصلحتهم ان يلقبوا الوردة سترا لفصيحتهم ودفاعا لمرة الفشل الذي باؤوا به ويستعملوا اساليبهم المتنوعة لاجراء باب آخر يدخلون منه المسرح لتمثيل نفس الرواية انما غشوها بفشاء ظاهري شفاف .. » (٤٥) .

هذا هو الخط الذي سار فيه الكتاب الجزائريون ولم ينجسوا بتجاوب اليهود أو خضوعهم لما جاء في « الكتاب الابيض » او لينهم الذي تواروا خلفه حتى نتاح لهم فرصة للانتفاض مرة اخرى ، فالكاتب يكشف سر تبديل اساليبهم ويذكرها كما أدركها قبله من تحدثنا عنهم سابقا ، وهو آذن يوعز ويوحي للعرب بأن ينفذوا الى مكربهم وطرفهم المتلوية والا ينجسوا بالظاهر ، مشيرا بهذا الى الضجة التي اثارها اليهود في تلك الفترة ضد الانكليز محاولين أن يلقوا بالمسؤولية على عاتق حكومة الانتداب التي في زعمهم تسعى الى الفرقة بين السكان من اصلين وجنسين مختلفين ، ربما ليزرعوا البلبلة في النفوس أو ليستعدوا الانكليز على العرب كما فعلوا دائما ، ولكن الكاتب يذكر بأن الفلسطينيين أدري بهذه المناورة الصهيونية وانهم سيستوردون على صمودهم ورفضهم لاي دعوى أو ادعاء لليهود في فلسطين (٤٦) .

ولا بد ان نشير هنا الى ردود الفعل من جانب اليهود في الجزائر حيث وقعت حوادث دامية كثيرة في تلك الفترة بسبب استفزاز اليهود للجزائريين المسلمين وتحرشهم بهم في كثير من مناطق القطر واعتداءاتهم المتكررة عليهم وعلى اتدين الاسلامي ومنها فاجعة قسنطينة التي وقعت اواخر سنة ١٩٢٤ واستخدم فيها اليهود ضد العرب كافة وسائل الاذى حتى الرصاص ، مما نجم عنه سقوط الكثير من القتلى والجرحى (٤٧) .

وهكذا كان اليهود في الجزائر ينتقمون من الجزائريين لوفهم الساندة لاختوانهم عرب فلسطين ولجهودات الكتاب في فضح مؤامرات الصهيونية والاستعمار والتي ازدادت عنفا وقوة بعد ثورة الشعب الفلسطيني عام ١٩٣٦ واضرابه المشهور . وهنا توالت المقالات صارخة مدوية تستثير عاطفة القومية والدين في نفوس العرب جميعا ، وظهرت الدعوة الى تكوين لجان من أجل اغانة فلسطين (٤٨) .

وبالطبع فان هذه المقالات مليئة بالسخط تنضح بالثورة والحماس والنبرة العالية ضد ما يجري في فلسطين من ظلم وقهر (٤٩) ، وهو

(٤٤) و (٤٥) و (٤٦) المصدر السابق .

(٤٧) أنظر : « الشهاب » ١١ - ٩ - ١٩٣٤ .

(٤٨) من اهمها لجنة اغانة فلسطين بالعاصمة وكان امينها العام «الامين العمودي» ، اما الامين المالي فكان «محمد بن البابي» .

(٤٩) أنظر : « البصائر » أعداد : ٢١ ميس ، ٧ جويلية ، ١٣ أوت ،

٣ ، ١٧ سبتمبر ، ٥ نوفمبر ، ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ .

(٥٠) « البصائر » : ١٣ أوت ١٩٣٧ .

(٥١) المصدر السابق .

وهذه الكارثة سببها قرار التقسيم كما ذكرنا ، ويصب غضبه على الانجليز حماة اسرائيل وعلى انتدابهم : « فقد : جلبوا لفلسطين المحبوبة العزيزة علينا كل بلاء وانزلوا بساخطها كل مصيبة وكل رزية وبليسة من يوم عرفتهم بانتدابهم المشؤوم عليها وتدخلهم المقوت الملعون في شئون اهلها الامنيين الطمئنين .. »

ولكن الكاتب لا يريد فقط ان يحلل الاوضاع السياسية والحوادث المختلفة للقضية وانما هو داعية قبل كل شيء ، شأن الصلحين من الكتاب بل شأن الساخطين على الاستعمار في وطنه او في فلسطين ، وكانه يعبر عن واقع الجزائر في تلك الفترة المظلمة :

« ومن من الناس لا يلهج اليوم باسم فلسطين الشهيدة ، فلسطين الدامية فلسطين الناكلة الباكية العزينة ؟ فلسطين ضحية الاستعمار الفاشم ونهية العدو القوي الظالم . فلسطين التي ارادت جمعية الامم او اذا قلنا ما يطابق الواقع - اراد الانكليز القسامة البغاة تقديمها على مذبج مطامعهم ومصالحهم الخاصة لقمة سائفة للاكلين وغنيمة باردة لشذاذ العالم ونفاية الامم من الصهيونيين .. »

والكاتب لا ينسى كفاح الفلسطينيين فيشيد بثورتهم المتعاقبة دفاعا عن ارضهم وعرضهم وفي قمتها ثورة ١٩٣٦ ، ولكنه لا ينسى دور الملوك العرب في الضغط على الشعب الفلسطيني ، هؤلاء الملوك والحكام الذين استخدمهم الاستعمار لتحقيق مآربه التي التقت مع مآربهم خوفا من هذه الثورة التي قد تتطور الى احداث اخرى ربما تغير من واقع المنطقة ومن صورتها فيقول :

« .. حتى تدخل ملوك العرب ورجالات الاسلام في ايقافها رغبة في المفاهمة مع الانجليز .. » (٥٣) .

ويسخر الكاتب بعد ذلك من قرار التقسيم الذي يقضي بمنح المنطقة الغنية لليهود ، والمنطقة الجرداء للعرب ، اما الاماكن المقدسة فتبقى تحت الانتداب الانجليزي ، ويثور على هذه المحاباة التي تجانب الحق وتماشى مع مطامع اليهود الصهاينة وتلبى مطالبهم . ويختم المقال بذلك النداء الذي صدر به مقاله يستنهض فيه الهمم ويحث فيه العرب والمسلمين الى الدفاع عن فلسطين .

والمقال في أسلوبه كما هو واضح يعبر عن عاطفة جياشة وصياغة قوية وعناية باظهار الحق العربي وتكثيل العرب حول قضية فلسطين . وهناك مقالات اخرى كتبها الشيخ ابن باديس « تسير على هذا النسق وتضرب على الوتر نفسه نشرها في البصائر « والشهاب » سنة ١٩٢٨ واحتج فيها باسم جمعية العلماء بوصفه رئيسا لها - على ما يجري في فلسطين وطالب الحكومة الفرنسية بان تتدخل وتوقف الضغط على ابناء فلسطين كما احتج على مشروع التقسيم الجائر .

والملاحظ ان الكتاب الجزائريين قبل الحرب الثانية كانوا دائما يوجهون سهام نقدهم الى الحكام العرب على تخاذلهم ومواقفهم المنحذبة تجاه القضية الفلسطينية : « رأينا امراء العرب يذهبون بانفسهم وبمندوبيهم مجتمعين لحضور حفلة ترويج ملك انكلترا بلندرة ، فلماذا لم ترهم يذهبون اليها محتجين على تنكليها بجيران المسجد الاقصى وحمامته .. » (٥٤)

واكثر من هذا ان علماء الدين الرسميين قد افتوا في هذه القضية من الناحية الشرعية وبيّنوا حق عرب فلسطين في وطنهم وديارهم وعرضوا للقضية من الوجهتين التاريخية والدينية ، وبيّنوا كيف ان اليهود على مر السنين عاشوا في البلاد العربية في أمن وسلام

وبالطبع فان أسلوب هذه المقالات شبيه بالمقالات الاخبارية التي لا تعني بالجمال الادبي وانما تهتم بالايفكار وتقيم الحجج المختلفة والبراهين العقلية والنقلية حول القضية .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ، وتوقفت معها الصحافة الجزائرية اما مصادرة او خشية الاضطرار الى اتخاذ موقف مناصر للاستعمار في هذه الحرب مثلما فعلت جمعية العلماء « التي اوقفت صدور البصائر » بهذا السبب ، وتعلقت انظار العالم بما يجري في هذه الحرب من احداث خطيرة هزت وجدان الشعوب في كافة انحاء المعمورة . ولما انتصر الحلفاء عادت قضية فلسطين الى المسرح العالمي وازداد اصرار الشعب الفلسطيني على نيل حقه ، كما اكتسح العالم العربي تيار القومية العربية وظهرت جامعة الدول العربية الى الوجود ، ورغم تناقضاتها ووجود حلفاء لانجلترا فيها فقد استبشر بها العرب واعتبروها بداية لتجمعهم بعد ان تنهبوا سواء في المشرق او المغرب العربي الى واقعهم ، اصبحت فلسطين تمثل قبة سياسية بعد ان كانت فيما مضى قبة دينية وغدت المحور الذي تدور حوله كتابات الادباء والكتاب وتلف عواطف الجاهير العربية من محيطها الى خليجها .

وبدأت السحب تتراكم في سماء فلسطين وتازمت الاحداث لتصل الى الليرة حين اصدرت الامم المتحدة قرار التقسيم الفعلي لفلسطين عام ١٩٤٧ ، فانفجر الغضب على ارضها وعلى امتداد الارض العربية ، وعبر عن هذا الكتاب والشعراء الجزائريون والعرب جميعا وتفجرت قرائعهم بقصائد ومقالات حماسية ترفض هذا الظلم وتشجبه وتعكس ما يعتل في نفوس الجماهير من سخط على الامم المتحدة والصهيونية والاستعمار الذين اتفقوا جميعا على تشريد الشعب العربي الفلسطيني ومحو كيانه .

ونلمح في الاساليب الادبية عاطفة صادقة وخوفا مما يجري في فلسطين وما يسيل على ارضها من دماء وما يلحق شعبها من ظلم وحييف ، ونجد مقالا لمحمود ابي زوزو ، نذكر من عنوانه منى شعور الكاتب وعواطفه اذ جعله « الدم في ارض النبوة » (٥٦) . وقد عرف عن هذا الكاتب في مقالاته التي نشرها من بعد بجريدته « المنار » التي كانت موالية لحزب الشعب « الذي اصبح اسمه بعد الحرب الثانية » « انتصار الحريات الديموقراطية » قلت تعودنا منه اسلوبا هادئا رزيناً فيه تحليل للاحداث وتامل لتنتائجها وبحث عن جذورها واسبابها شأن العلقين السياسيين ، ولكنه في المقال المذكور وان عبر عن فكر عديق فانه استخدم اسلوبا ادبيا واعنى فيه بالصياغة وبالجمال الادبي الى جانب ابراز عاطفته تجاه فلسطين وشعبها بل عاطفته تجاه الانسانية عامة ، وتشعر في المقال بعق الجرح الفائر في نفس الكاتب ، فالتعبير بالدم والحديث عنه يشعر بالهول وبالمصيبة التي وقعت في فلسطين ، وهو يكرر لفظة الدم مرات عديدة ليعمق هذا الاحساس :

« الدم يسيل في ارض النبوة .. الدم يسيل في فلسطين .. ! ليس هو دم الاضاحي والقرايين انه دم البشر » (٥٧) .

وهذه التعابير توحى بالحرب وما ينجم عنها من آلام ومأس ، ففيها روح شاعرية واحساس حاد بالازمة ، ويزيد من عنف هذه المأساة وحدتها انها وقعت في ارض النبوة ويقارن بين السم الذي يقدم على هذه الارض وبين ما يقدم من اجل القران ، ويسوق ذلك في نوع من التشبيه والتاكيد « كان ارض النبوة ملت دم الحيوان وتغطشت الى دم الانسان .

(٥٥) البصائر ٣ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٥٦) البصائر ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ .

(٥٧) المصدر السابق .

(٥٢) المصدر السابق .

(٥٣) المصدر السابق .

(٥٤) من مقال لابن باديس - البصائر سبتمبر ١٩٢٨ .

وكان بها حاجة شديدة الى هذا الدم الغالي !
 وكان اهلها مستعدون لسد هذه الحاجة ؟ ((٥٨) .
 ثم يسخر بالاسلوب نفسه من هيئة الامم المتحدة :
 « وكان هيئة الامم المتحدة حريصة على تقديم قربان تفصل به
 انماها فاخترت المذبح واخترت الاضاحي لان الانام لا تفصل الا بالدم
 ولان السماء لا تقبل الا الدم والارض لا تحب الا دم الانسان !» (٥٩)
 ولما كان الكاتب من المهتمين بالانسان وصراعه الطويل من اجل
 البقاء فانه يرد على من يتصور ان الطبيعة تحب الدم وتسمى الى
 ارافته بينما الحقيقة ان التنازع على البقاء هو سبب ما يسيل من
 دم وسبب التناحر بين البشر حتى يقول :

« كان هذه السنة جرت بان تسقى ارض بلقاء لتنتب ما به قوام
 « جسم » الانسان وبالدم لتنتب ما به قوام حربة الانسان !» (٦٠) .
 فهذا الحكم مستمد من تلك البديهية التي تقول بان الحرية تؤخذ
 ولا تعطى وان شجرتها لا بد ان تسقى بالدم .

على ان الكاتب يقارن بين دعوة النبوة وادعاء الانسان اللاني ،
 فهذا لاخير يبحث عن العاجلة كما جاء في القرآن ، بينما الحكمة
 او النبوة او الرسالة تدعو الى الاجلة ومن هذا النفاض بين الفجسه
 الانسانية النبيلة وبين الشر في الانسان وانانيته وبحثه عن المصلحة
 الذاتية ، من ذلك ينشأ الصراع من اجل الحياة والبقاء والنوع ،
 والكاتب يقف حزينا لما يجري بين البشر من صراع وقتال ودم فيصرخ
 من اعماقه .

« رحماك - اللهم بهذه البشرية العذبة لقد فعلت فيها سنة
 تنازع البقاء الافاعيل ! فملأت الارض بدمائها ولا تزال احشاؤها تلتهب
 عطشا الى هذه الندماء منذ فجر التاريخ البشري !» (٦١) .

وبعيد الى الازمان قصة هذا الصراع بين الاخوين هابيل وقابيل
 ويستغرب هذا الموقف الذي لا نجد له تفسيراً سوى الفكرة الفلسفية
 السالفة الذكر وهي ان الارض عطشى للدماء البشرية .

ومن هذا الموقف يعرض لذلك الصراع الذي تنقلب فيه النوازع
 الذاتية والمنافع الفردية وتطفي على الحس الانساني وعلى عنصر الخير
 وقواه الطيبة ، ويخفي العقل ونوره ليحسب الشر وظلامه في نفس
 الانسان ، ولو تدبر الانسان هذا لما لجأ الى القوة ولما اراق قطره من
 دماء اخيه .

« لو أشقق الانسان على نفسه ما حدثته نفسه باراقة دم اخيه،
 لانه حين يريق دم اخيه كاتما يريق دم نفسه ، ان الانسان - احب
 ام كره - اخو الانسان وان اختلفت الالوان واللفات والاديان ..» (٦٢).

فهذه النظرة الفلسفية المتلفة كانت دائما نظرة المفكرين الانسانيين
 فهي كل العصور ولكن تقابلها نظرة اخرى لا تحتكم الى المنطق والعقل
 بقدر ما تحتكم العاطفة وتستند الى النظرة المادية الصرفة ، ومن ثمة
 فان الكاتب يقارن بين مطلب الروح ومطلب الجسد وغالبا ما يستجيب
 لاخير لانه يفكر في اللحظة الحاضرة فقط .

والفقال بعد ذلك يلنب في هذه الموازنة او المقارنة بين الاضداد
 مثل القسوة والرحمة ، الحميم والنعيم والاجل والعاجل وغيرها ،
 ويتكلم للادواح التي تزهر في فلسطين وغيرها .

وبنظرة تماشى مع ما قلناه من آراء الكاتب يشير الى ان
 « الامم المتحدة » ارادت ان تمثل فصلا من فصول هذه الرواية « على

حد نصيره » ليقوم بتمثيله العرب واليهود في ارض النبوة « (٦٣) .
 ويكون الرمز هنا وان كان مباشرا صريحا فانه يبرر عن الواقع
 فالمسرحية التي تمثلها الامم المتحدة في قضية فلسطين حرض عليها
 « الشيطان » وما الشيطان هنا سوى الاستعمار .

« وهل يريد الشيطان ان يجري في ارض النبوة الا ما يهتس
 له الانبياء في قيورهم ؟ اذ هزموه في ازمتههم فأراد ان ينتقم لنفسه
 بعد ازمتههم !. فاخترت لذلك ارضاً مقدسة لديهم ، لتكون مسرحاً
 لتمثيل وساوسه ، وتنفيذ اغراضه !. واخترت هيئة الامم المتحدة لتضع
 هذه الوسوس في القالب اللائق بها !» (٦٤) .

ونلاحظ ان الكاتب بأسلوبه هذا وبمقارنته بين الاستعمار
 والشيطان تجنب التقيرية والمباشرة ، واستخدم التمثيل والرمز بالرغم
 من تفسيره وشرحه .

« وكانت الاوتار التي وقع عليها الشيطان توقعه المردي هي عروق
 العنصرية ، العنصرية التي قهرت اليهود في اوربا وطردهم من
 المانيا .. (٦٥)

فاليهود اذن كانوا ضحية الاستعمار والعنصرية في اوربا ، ولم
 يجدوا سوى ارض فلسطين يحتثوا بها لشعبية اخرى جديدة دفع
 ثمنها العرب بتأييد من الامم المتحدة التي لم تحكم بالحق ولا العدل .

وبعد ان يفيض الكاتب في الحديث عن الاستعمار الذي هو سبب
 مصائب الشعوب ومحتها يدخل في عرض اهداف الاستعمار البريطاني
 في فلسطين فهو ينصح اليهود بوقف الهجرة بعد ان كان مسموحا
 بها حتى يوجد قوة تماثل قوة العرب في عندها وافرادها
 يستخدمها وقت الحاجة ، ويحلل دور هذا الاستعمار تحليلا وافيا ينم
 عن وعي وادراك لهذا المور الذي لصبه في ضياع فلسطين ، ويسوق
 في معرض الحديث ما رده بعض الكتاب لفائدة الانجليز : « انه لعالم
 سميد الذي يصبح فيه السلم مصلحة بريطانية ..» (٦٦) .

ويناقش هذا الرأي بفهم عميق ويقول ان سعادة العالم ليست
 متوقفة على اتجاه مصلحة بريطانيا « وليست الارض التي تتجه اليها
 نهاية الانجليز تحضى بالسعادة ..» (٦٧) . ويشهد على ذلك ما
 فعلوه في فلسطين .

وبعد تحليلات فلسفية كثيرة حول قيم الحق والخير والجمال
 والتي لا مجال هنا لمناقشة الكاتب فيها ، يصل الى الحل وهو ان
 يعود اليهود من حيث اتوا ، يعودون الى الاوطان التي طردوا منها
 وان بجلاوا الانجليز عن ارض فلسطين : « وتحل محلهم هيئة اممية
 مخلصه تقيم بها العدل والمساواة وتزيل الاحقاد وتبث التسامح وتساعد
 الشعب على التقدم ، وتبهي الجو للتفاهم بين العرب واليهود حتى
 يتسنى لهم تشكيل حكومة ديمقراطية ..» (٦٨)

والملاحظ ان الشعاع المرفوع اليوم والذي يدعو فيه اصحابه الى
 تكوين دولة ديموقراطية نادى به هذا الكاتب الجزائري منذ هذا
 التاريخ المبكر نسبيا مما يدل على ان العرب ليسوا متعصبين وانهم
 حتى في تلك المرحلة كانوا واقعيين من جهة ومن جهة اخرى دعاء
 سلم لا حرب اذ كانوا لا يفكرون في اخراج اليهود الذين لم يفدوا
 من الخارج .

ويختتم « ابو زوزو » مقاله بالتنديد بمواقف الصهاينة الذين
 يريدون فلسطين لهم وحدهم ، ويذكر استعدادهم للحرب منذ زمن

(٦٣) المصدر السابق .

(٦٤) المصدر السابق .

(٦٥) المصدر السابق .

(٦٦) المصدر السابق .

(٦٧) المصدر السابق .

(٦٨) المصدر السابق .

(٥٨) المصدر السابق .

(٥٩) المصدر السابق .

(٦٠) المصدر السابق .

(٦١) المصدر السابق .

(٦٢) المصدر السابق .

طويل ونيتهم المبيتة في الغدر والنهب والاحتلال ، ويتوعدهم بموقف عام من المسلمين والعرب ومن الجزائريين وبكون الختام .

« وأرواح الانبياء تنادي : لا تحملوا احدا على اراقة الدماء في ارض النبوة » . (٦٩) .

والقال صرخة تخرج من اعماق انسان متالم يرثي لضعف الانسان وجبروته معا ، ويدعو الى السلام والخير والمحبة مما يدل على ان الجزائريين او فريقا كبيرا منهم كان يقف ضد الحرب وضد الاستغلال والعنصرية لانه عانى من هذا كله تحت الاحتلال الفرنسي ، ولذا كان احساس الجزائريين بفلسطين وامساتها - كما اشرفنا - احساسا حادا عميقا .

ويعد الشيخ محمد البشير الابراهيمي « في مقدمة من كتبوا عن فلسطين سلسلة من المقالات التوالية في الجريدة الانفة الذكر بعد عودتها سنة ١٩٤٧ » .

وقد ألم في مقالاته هذه بالقضية من شتى اطرافها ، عبر عن المأساة باحساس وانفعال صادقين ، كما عبر عن ارتباط الشعب الجزائري بها وركز على العاطفة الدينية واعتبر ان مسؤولية المسلمين في هذه القضية مثل مسؤولية العرب .

ويبدأ الابراهيمي مقاله الاول بالنداء : « يا فلسطين ان في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية ، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامة .. » (٧٠) .

ولكنه يلتمس العذر للجزائريين اذا لم يستطيعوا ان يفعلوا الشيء الكثير لفلسطين ولم يتمكنوا من مساندة شعبها الشقيق مساندة فعالة وعندهم واضح وهو : « الاستعمار الذي يحول بين المرء وداره ، والمسلم وقبيلته .. » (٧١) .

فما تعاني منه فلسطين تعاني منه شقيقتها الجزائر ، فكلتاها تترزحان تحت وطأة الاحتلال وان تنوعت اسماؤه واختلقت اجناسه ، لكن النتيجة واحدة والرزة واحد فالكتاب اذن يشعر بوحدة الظروف وبالمأساة العامة في كلا البلدين .

ويمثل ما بدأ به من اسلوب منهق مسجوع ونبرة حزينة تنم عن شعوره بالكآبة يستمر الكاتب في المقارنة بين حب الوطن الذي ينشأ من الارتباط بالارض وبين حب فلسطين التي تمثل رمزا دينيا .

« يا فلسطين اذا كان حب الاوطان من اثر الهواء والتراب والمآرب التي يقضيها الشباب ، فان هوى المسلم ان فيك اولى القبلتين وان فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، وانك كنت نهاية المرحلة الارضية وبداية الرحلة السماوية من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والارض صعودا ، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا . » (٧٢)

واذا كانت هذه مكانتها الدينية ، فان مكانتها التاريخية ترجع الى الفاتحين الاولين الذين حروها من الظلم ، وجعلوها منطلقا لنشر الدين الجديد وظهروها من « رجس الرومان » مثلما طهروا اطراف الجزيرة قبلها من « رجس الاوثان » فهو يقابل بين فلسطين وبين مكة ، ويضعها في المكان الذي ينبغي ان توضع فيه .

ويجدها الكاتب فرصة سانحة لان يعود الى التاريخ لا محلا مستكنها لاحدائه ومستخلصا العبرة ، وانما يعود اليه ليحرك النفوس والقلوب وليصل الى النتيجة التي يريدتها وهي ان فلسطين

عربية وان الاسلام حررها من الغزاة بعد ان استبيح حماها مرات عديدة على يد البابليين والرومان وغيرهم . ثم يربط بين الماضي والحاضر ويسخر من اعداء الصهاينة ومن « وعد بلفور » المشؤوم : « ما بال هذه الطائفة تدعي ما ليس لها بحسب ، وتطوي عشرات القرون لتصل بسفاهتها وعد موسى بوعد « بلفور » وان بينهما لمدا وجزرا من الاحداث وجذبا ودفعسا من الفاتحين (٧٣) .

والكتاب هنا لا يستخدم الحجج العقلية في اثبات الحق العربي في فلسطين كما حاول غيره ان يفعل وانما يضرب الامثلة من التاريخ ساخرا من اليهود الذين لم يدافعوا عن فلسطين فيما تعرضت له من احتلال قديم وغزوات في الماضي البعيد وانما الذي حررها العرب « وانما يستحق التراث من دافع عنه وحامي دونه (٧٤) .

فالعرب هم آحق بفلسطين منسذ عمر بن الخطاب « وابطل اليرموك » الذين حروها من الرومان وكذلك لم يحرها من الصليبيين ويدفع اذاهم عنها الا صلاح الدين وابطل حطين .

ويستمر الكاتب على هذا النسق فيعيد الى الالتهان ما شهر به العرب من عدل استنزل به الاسرائيليون : « وعاش فيها بنو اسرائيل تحت راية الاسلام وفي ظل حمايته آمنين (٧٥) لم يتعرضوا لاي ظلم او اكراه ولكنهم لم يتغيروا وما يجري في فلسطين اشبه بما وقع في التاريخ ذلك ان وعد موسى لبني اسرائيل كان ردهم عليه : « وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » كما ان الصهاينة اليوم لم يتقوا بوعد بلفور حتى ضمن لهم الانجليز ان يحضوا بقوتهم : « ولو ان السيوف الانجليزية ، اغمدت والذهب الصهيوني رجع الى مكانه ، وعرضت القضية على عدل وعقل لا يستهوي به بريق الذهب ولا يرهبه بريق السيوف لقال القانونون : ان ثلاثة عشر قرنا كافية للملك بحق الحيادة ، وقال الدين : ان احق الناس بمدافن الانبياء هم الذين يؤمنون بجميع الانبياء ، وقال التاريخ : ان العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود ، ولم يهدموا فيها تولة قائمة ، ولا تلوا لهم عرشا مرفوها ، وانما انتزعوها من الرومان ، فهم احق بها من كل انسان . » (٧٦) .

ثم ان الكاتب بعد ان فند حجة اليهود في زعمهم بان فلسطين ارض اليعاد ، وهي الفكرة التي بنوا عليها مؤامراتهم ، وبعد ان ضرب الامثلة وساق الحجج الشرعية والتاريخية والدينية ، يبين ان الصهيونية اذا كانت قد اعتمدت على المال وشراء الضمائر وعلى الارهاب لاحتلال فلسطين ، فان دوافعها دوافع استعمارية مثل اي استعمار اخر ، ولكن الصهيونية تزيد بانها استعمار جديد في اسلوبه وفي غاياته وحججه .

بعد ذلك يعود الكاتب الى التأكيد على حق العرب في فلسطين كما يعبر عن تعاطف الشعب الجزائري مع شقيقه الفلسطيني وان ما يجري هناك انما هو امتحان للعرب جميعا : « ان قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائرهم وهممكم واموالكم ووجدتكم ، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم ، وانما هي للعرب كلهم .. » (٧٧) .

وهنا نلاحظ ان الكاتب يرى في المأساة محنة من الله ، وهي نظرة تتماشى وفكرة الدين وموقفه كعالم من رجال الإصلاح ، ولكن في الوقت نفسه يجعل من قضية فلسطين قضية عربية ، وهذا الخط رايناه لدى العقبي بل ان هناك تعبيرا واحدا يلتقيان فيه مع غيرهم من الكتاب في تلك الفترة وهو ان فلسطين للعرب جميعا .

ولا شك ان الاحاح على هذه الفكرة يقصد منه استنفار العرب للذود عن فلسطين باعتبارها جزءا من الامة العربية ، ولا يتكونها

(٦٩) المصدر السابق .

(٧٠) عيون البصائر : محمد البشير الابراهيمي ص : ٤٨٣ - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ (والمقالات نشرت تباعا في البصائر عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٨ .

(٧١) المصدر السابق .

(٧٢) المصدر السابق ص : ٤٨٣ .

(٧٣) المصدر السابق ص ٤٨٤ .

(٧٤) المصدر السابق .

(٧٥) المصدر السابق .

(٧٦) المصدر السابق ص : ٤٨٥ .

(٧٧) المصدر السابق ص : ٤٨٦ - ٤٨٧ .

حلقاتها ، ولكنها بدأت منذ وعد بلفور :

« يا قوم ! ما ظلمت فلسطين يوم قسمت ولكنها ظلمت يوم بئل « بلفور » وعده للصهاينة باسم حكومته ، وما منا - اهل هذا الجيل - الا من شهد يوم الوعد ، وشهد يوم التقسيم ، وشهد ما بينها ، ومن عرف مصادر الامور عرف مواردها ، فانظروا - ويحكم - ماذا فعل الصهيونيون من يوم الوعد الى يوم التقسيم ، وانظروا ماذا فعلنا (٨٥) .
فالكتاب يدين الجيل الذي عاصر الوعد المشؤوم وسكت اوتجاهل العواقب والنتائج ، واكتفى بالقول بانه صاحب حق ولم يبحث عن اسلوب اخر او عن اساليب مختلفة يدافع بها عن هذا الحق ، بينما الصهيونيون استخدموا كل السبل لتحقيق اغراضهم ، وساعدتهم العرب على ذلك بتفرقهم وخلافهم وغفلتهم واعتمادهم على منظوم القول او منشوره ، ولم يتعظوا حين وعدهم الانجليز بما اخلف بعد ذلك .

وهو بذلك يسير في الاتجاه نفسه الذي سار فيه سابقوه منذ سنوات طويلة وبينوا فيه سياسة بريطانيا وكذبها على العرب واسلوبها المراوغ في هذه القضية وفي غيرها من القضايا التي تتعلق بالازمة العربية ، وكذلك فان الكتاب يؤنب العرب على تجاهلهم للمصر وما يتطلبه من استمداد في مختلف المجالات بينما فعل اليهود ذلك منذ « وعد بلفور » ، بحيث اعتمدوا على المال والعلم والصناعة ، واستند العرب على « الأقوال والاحتجاجات التي هي سلاح الضعفاء » . (٨٦) .

ويستمر في المقارنة بين العرب واليهود من شتى النواحي الاخلاقية والعقدية ومعطيات جديدة ، ثم يكرر رأيه السابق في ان قرار التقسيم انما هو تأديب الهي للعرب ولكن يرى ان صدمة كهذه تحتاجها الامم كي « ترجها رجا وتزجها في المضايق زجا لتنفص عنها النمول والضعفة .. » . (٨٧) .

والعرب محتاجون كما يقول الكاتب في ختام مقاله الى « الطراز العالي » من البطولة الذي تتسامى فيه النفوس وترتفع وتنتصر .

وفي مقال آخر بعنوان « العرب واليهود في الميزان عند الاقوياء » (٨٨) يناقش الكاتب نظرة الدول القوية الى العرب وكيف انها تختلف عن نظرتهم الى اليهود ، فقد اختبروهما وعرفوا كيف يفكر كل منهما ، ووازنوا بين مصالحهم مع هؤلاء ومع اولئك ووجدوا ان كفة اليهود ارجح من كفة العرب .

على ان الكاتب - جريا مع رؤيته - يرى ان هؤلاء الاقوياء نسوا سلاحا فويا وهو سلاح الروح ، ويشند سخطه على الدول التي ناصر اليهود وشاركت في قرار التقسيم ويتوعدهم : « ان العرب اذا سيموا الحيف حكموا السيف وانهم سيأخذون حقهم بالدم الاحمر ، في حين اراد اليهود استلابه منهم بالذهب الاصفر .. » (٨٩) .

ومرة اخرى يبلغ به الفيظ مداه فيتوعد الجميع بحرب طاحنة على ان نغمته وسخريته تنصب على الحكومات والدول التي باعت فلسطين وليس لها الحق فيها ، بل باعت ارضا وتاريخا وشعبا اعرق من هذه الدول المصطنعة : « يا بخس فلسطين ! .. ابيعها من لا يملكها ويشترىها من لا يستحقها ؟ يا هوان فلسطين ! اكون من ذوي الحق في بيعها تلك الدول التي لم تخلق خلقا طبيعيا وانما خلقتها المناهسات ، والتي لم يبلغ الكثير منها جزءا مما بلغت فلسطين من مجد في التاريخ ، وسابقة في الحضارة ، ويد في نفع البشرية ، بل لم تبلغ مجتمعة ما بلغت فلسطين من احتضان النجوم

تقاسي الاحتلال وحدها وتجاهه مصيرها بنفسها عزلاء ضعيفة ، بل ان الابراهيمي يصرح بان استرداد فلسطين لا يكون بالشعر والخطب وانما « بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة .. » (٧٨) .

ويكتشف في المقال الثاني عن المهزلة التي انتهت بقرار التقسيم الذي صدر بتأييد من الامم المتحدة ، واغثت القضية وتوارى سلطان العقل والعدل وحل محله سلطان المال والمصلحة « وتصدع ليل فلسطين الداجي عن فجر كاذب العيان .. » (٧٩) .

واذا بأوروبا وامريكا تسفران عن وجهيهما وتبرزان مطامعهما وتتنكران لكل القيم والمبادئ الانسانية ويتأكد العرب بان « حق الشرق لاولي له في الغرب ولا نصير ، وجاء بها هذا المجلس الذي يسمونه - زورا - مجلس الامم المتحدة شعاء لا توارى من احكام القاسطين واحلام الظالمين .. » (٨٠) .

ويبرز الكاتب التناقض بين الحق والباطل ، بين اولئك الذين « يخاطبون الضمير والعقل » وهم العرب ، وبين اليهود الذين « يحملون الابهام المزلزل ، والكيد الميت ، والمكر الخفي ، والمعاوي المقطوعة من ادلتها .. » (٨١) ، وتكون الواقعة فاذا بالموازين الاخلاقية تختل واذا بالتاريخ يتعرض لأكبر محنة واذا بالباطل يجد طريقه للنجاح واذا بقانون القوة يستمر كما يشهد تاريخ الاقوياء مع الضعفاء : « وانصت التاريخ ليسجل الشهادة واستشرف الكون لينظر هل تخرق للاقوياء عادة ، ونشر الاصل والمصوى وتعارضت اليانة والشبهة ، وافصح الحق واتضح ، ولجلج الباطل واقتضح ، ولكن تلك الدول المتحدة على الباطل الجمها الحق بحججه واجرتها الحقيقية بوضوحها ، فحكموا الانتخاب .. وليت شعري اي موضع للانتخاب هنا ؟ .. » (٨٢) .

ويستمر في السخرية من مهزلة الانتخابات ، ومن المصوتين بل مجال للتصويت ، وكانت النتيجة تحديا للعرب وحقهم وتاريخهم ، وحتى التقسيم كان فيه محاباة لليهود على حساب العرب .

ويتوجه الكاتب بعد ذلك الى العرب انفسهم ليفكروا في واقعهم ويبحثوا لهم عن طريق غير الامم المتحدة ، وهذا الطريق هو وحدة العرب ، وفلسطين التي كانت في الماضي منطلقا للتفوحات العربية لا بد ان تصح اليوم منطلقا لتوحيد كلمة العرب ، فاذا كانت في ماضيها مباركة عليهم لامور كثيرة فانها في حاضرها مباركة عليهم كذلك . « فما اجتمعت كلمتهم في يوم مثلما اجتمعت في يوم تقسيمك ، ولقد فرقهم الاستعمار الخبيث في عهدهم الاخير ، فما نادوا الى الاتحاد مثلما نادوا الى الاتحاد في سيبك » (٨٣) .

ويمضي هكذا في خطابه لفلسطين حتى يقول : « اما والله يا فلسطين ، لكان اعداء العرب احسنوا اليها بتقسيمك من حيث ارادوا الاساءة .. » (٨٤) .

ثم يتجه بالقول الى العرب وقد بلغ غيظه قمته وبلغ سخطه مداه فيصوب عليهم ثورته ونقده اللاذع ، ويتهمهم بانهم لم يفلحوا شيئا لفلسطين سوى تلك الخطب والاشعار وانعقدت المؤتمرات والقيمت المظاهرات ، ولكن ليست هذه وسائل التحرير ونيل الحق ، واذا كان العرب قد ناروا اليوم فانما جاءت ثورتهم متأخرة ، فالكتاب يفتح اعينهم على المساة التي لا تتمثل في التقسيم الذي هو حلقة من

(٧٨) المصدر السابق ص : ٤٨٧ .

(٧٩) المصدر السابق ص : ٤٨٨ .

(٨٠) المصدر السابق ص : ٤٨٨ .

(٨١) المصدر السابق ص : ٤٨٨ .

(٨٢) المصدر السابق ص : ٤٨٨ - ٤٨٩ .

(٨٣) المصدر السابق ص : ٤٩٠ .

(٨٤) المصدر السابق ص : ٤٩٠ .

(٨٥) المصدر السابق ص : ٤٩٠ .

(٨٦) المصدر السابق ص : ٤٩١ .

(٨٧) المصدر السابق ص : ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٨٨) المصدر السابق ص : ٤٩٣ .

(٨٩) المصدر السابق ص : ٤٩٤ .

الرهبة ، لامسى الاسد هرا مجرد العنق ، معروق الصدر ، بسادي الهزال والسلال ..» (٩٥) .

ويكون الكاتب صريحا في تعريفه للعرب ، اذ يحلل اوضاع العالم العربي في تلك الفترة ، فبالرغم من وجود « الجامعة العربية » التي تظاهر الاستعمار الانجليزي بتأييده لها ، فانه يبيت امرا اخر يفرق به العرب في المستقبل كما فعل في الماضي ، فهناك قضايا كثيرة في العالم العربي ما زال الانجليز يسكون بخيوطها ، لذلك فان الكاتب يلج على الوحدة الحقيقية ويقول بانه لكي تصحح « جامعة الدول العربية » اداة للوحدة فلا بد ان تستند بجامعة تبني على ارادة الشعوب: « انكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية حتى تستندوها بجامعة الشعوب العربية ، فحركوا في وجوههم تلك الكتلة مترصاة يرهبوا ثم يذهبوا ..» (٩٦) .

ونظرة الكاتب هنا للوحدة العربية الحقيقية نظرة سليمة يؤيدها التاريخ الواقع ويؤكددها تطور الاحداث .

ومع انه فيما سبق قد اطنب كثيرا في بيان مسؤولية العرب بنجاح فلسطين فانه في مقال اخر بعنوان « واجباتها على العرب » (٩٧) يعبر عن مشاعره ويبين الدوافع التي دفعته للناية بقضية فلسطين ويشرح لماذا تفرقه هذه القضية .. ويحجب بانه يعتبر نفسه فلسطينيا بحكم عرويته واسلامه ذلك ان عرويته تلمي عليه ان يجند قلمه للدفاع عن فلسطين واهلها مثل ما يمليه عليه اسلامه ، وهو يبرز ذلك بامور كثيرة يستمدتها من الانتماء ومن العقيدة والتاريخ : و « كاتب هذه السطور عربي يعتز بعرويته الى حد الفلو ، ويعتد بها الى حد التعصب ، ويفخر بابوة العرب له الى حد الانتشاء ، ما يود ان له بذلك كله جميع ما يفخر به الفاخرون من احساب ، فاذا ادار الضمائر في هذه المقالات على منهج التكلم وقال : انا ، ونحن ، وقلنا ، وفعلنا ، ولا نرضى ولن نرضى فهو حقيق بذلك ..» (٩٨) .

فالابراهيمى بعد ان اوضح انتماءه وان الضمائر مهما اختلفت وصفا للمفرد او الجماعة ، فان النهاية هي شيء واحد ، انه عربي واذك فمن حقه ان يعبر عن فلسطين وعن ابنائها فهو منهم واذا : « حشر نفسه في العصبية الذاتية عن فلسطين واشركها في العصبية الغالية لفلسطين ، فليس بهدفع عن ذلك ، لانه عربي اولا ، ومسلم ثانيا ، وفلسطيني بحكم العروية والاسلام ثالثا ، فله بعرويته شرك في فلسطين من يوم طلعت هوادي خيول اجداده على البلقاء والمشارف ، وتصاهلت جيادهم باليرموك ، تحمل الموت الزؤام للاروام ، وله باسلامه عهد لفلسطين من يوم اختارها الباري للبروج السى السماء ذات البروج ، وله الى فلسطين نسبة من يوم قال الناس ، مسجد عمر ، بل من يوم قالوا غزة هاشم فاذا لم يقم بالحق ولم يف بالمعهد وسسم بالعقوق لوطنه الاكبر ، ووصم بالخيانة لدينه الجامع ..» (٩٩) .

ولا ينسى الكاتب بعد ذلك ان يؤكد ما سبق ان قاله وهو الرابطة القوية التي تربط بين الجزائر وفلسطين كجزاين من امة واحدة ، وهو بهذا يرد على مزاعم فرنسا في ذلك الحين من ان الجزائر جزء منها ، والابراهيمى يستغل المناسبة بكذاء ليضرب على هنا الوتر مؤكدا على عروية الجزائر وانتمائها القومي الامر الذي يفسر انفعالها لما يجري في فلسطين : « وهذا الوطن الذي نبتنا في تراه ، وغدنا بشمرااته ، وسقينا عذبه ونميره ، وتقلبنا بين جباله وسهوله في النضرة

وفي نهاية المقال يسجل الكاتب شانه في مقالاته الكثيرة . بان فلسطين وديعة بين ايدي العرب ويدعوهم الى التضحية والنضال ، وهي سمة من سمات مقال الادبي الاصلاحى في هذه القضية وغيرها من القضايا الوطنية والقومية .

اما في المقال الرابع من هذه السلسلة والذي وضع له الكاتب عنوان : « ماذا نريد لها وماذا يريدون » (٩١) فهو يوازن بين ما يريد العرب لفلسطين وما يريد اليهود لها ويفاضل بين مطامع هؤلاء وبين احلام واماني اولئك ، ويعتد مطامع اليهود التوسعية في ان تصحح ارض النبوات نقطة انطلاق نحو تحقيق حلمهم في اسرائيل الكبرى .

وما من شك في ان الابراهيمى مثل غيره من الكتاب الجزائريين قد عوا دور انجلترا في المؤامرة ضد فلسطين ، لذلك فانه بعقد مقالا خاصا بهذا الموضوع « الانجليز حلقة الشر المفرغة » (٩٢) بأسلوب اكثر عنفا واشد هجوما لان سياسة الانجليز متحيزة ظالمة ، ولانهم هم سبب الكارثة ، فهم في رأى الكاتب اشد سوءا من الشيطان ، ويقارن بينهم وبينه ، وتكون المقارنة طريفة حين يسوق التشابه او المفارقة العجيبة ، فاذا كان الشيطان يمكن ان يطرد بالتعويد وبالايماض وبقطة الشعور فان اسلوب طرد الانجليز يحتاج الى وسائل مادية لا معنوية : « ايها العرب : ان الانجليز هم اول الشر ووسطه واخره ، وانهم كالشيطان ، منهم يتبدى الشر واليهم ينتهي ، وانهم ليزيدون على الشيطان بان هزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذي وتقتل وجنازل مسمومة تهشم وتحطم وتخرب ، لامة تلم ثم تنجلي ، وطائف يمس ثم يخس ووسوسة تلبس ثم تفارق ، ويزيدون عليه بانهم لا يطردون بالاستعاذة وتذكر القلب وبقطة الشوارع ، واتما يطردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والاحجار والمدر ..» (٩٣) .

ويستمر على هذا النحو من المقارنة الساخرة اللاذعة والتهكم المر والهجاء العنيف بهذه الصور البارعة التي ينذر ان نجد لها مثيلا فيما كتب في المقارنة بين الانسان من جنس البشر وبين الشيطان من جنس الجن ، بين صنفين يختلفان في الضنصر ويلتقيان في الفايضة والهدف ، حتى ان الكاتب يجسد لنا صورة اخرى للشيطان اشد بشاعة من التي يعرفها الناس او يقرؤونها حول الشيطان ، وقد ساق هذه الصورة للاستعمار الانجليزى لا من اجل تصوير موقفه ودوره في المؤامرة فحسب ولكن لينبه العرب الذين اغتروا به وبنعومة وعوده وممسول كلامه ، وهو ما فعل ذلك الالنه عرف ضعف العرب وادرك مدى خضوعهم له ولسياسته كما عرف روح النذل في حكامهم : « وعجم امراءكم فوجد اكثرهم من ذلك الصنف الذي تليس انابيه للعاجم ، وتدين عرويته للعاجم ..» (٩٤) .

والكاتب يرى ان هذا الخضوع الذي اظهره الحكام العرب سببه ظنهم انهم فقراء والانجليز اغنياء ، وهذا وهم ففناهم هو من عرق العرب واموالهم وخيراتهم ، وينبه الى ان العرب لو تظنوا الى ذلك فسان الانجليز سيظهر فقرهم ويصبح الاسد البريطاني مثل الهر الذي انحسر شعره فظهر هزاله ، وهي صورة طريفة ايضا للاستعمار الذي يمتص خيرات الشعوب فيظهر قويا ولكن قوته جاءت من جهل هذه الشعوب: « فلو ان كل امة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التي تكمن وراءها

(٩٥) المصدر السابق ص : ٥٠٣ .

(٩٦) المصدر السابق ص : ٥٠٤ .

(٩٧) المصدر السابق ص : ٥٠٥ .

(٩٨) المصدر السابق ص : ٥٠٥ .

(٩٩) المصدر السابق ص : ٥٠٥ .

(٩٠) المصدر السابق ص : ٤٩٥ .

(٩١) المصدر السابق ص : ٤٩٧ .

(٩٢) المصدر السابق ص : ٥٠١ .

(٩٣) المصدر السابق ص : ٥٠١ .

(٩٤) المصدر السابق ص : ٥٠١ .

وينتهي الامر ، ولكن اليراهيمي ، في الواقع ، نادى بهذا الحل تعبيراً عن غيظه وتحدياً للإعداء ورداً على تكلمهم ضد العرب .

يؤكد هذا خروجه عن الموضوع الذي بدأ به المقال ليعود اليه بقوله : « ونرجع الى عرب الشمال الافريقي .. » (١.٦) فقد ابتعد عن الموضوع لان الاحداث كانت تضغط عليه وعلى نفسه فالتجأ الى الحل الفروسي بدل المناقشة والتحليل ، ولكنه عاد الى موضوعه ليعين ان عرب هذه المنطقة يمكنهم ان يساندوا عرب فلسطين بالمال ، اما المشاركة في الحرب بالرجال فان هذا ما لا تتيحه السيادة الاستعمارية للعرب بينما تمنحه لليهود (١.٧) .

وفي مقال اخر « قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا » نجد الكاتب يعرض لموقف فرنسا من قضية فلسطين وبوجه خاص موقفها من الجزائريين في هذه القضية .

وينقد نايبدها للتقسيم ولم تراخ عواطف الجزائريين ، ويمزق ذلك الى حقد استعماري وقيل هذا ، يعزوه الى سيطرة اليهود في فرنسا : « نحن لا نجهل تغل الصهيونية في فرنسا ، ولا نجهل تحكم اليهود في مراقبتها الحيوية وفي جهازها الحكومي ، بل في كيانها الذي هي به امة ، بل نعد فرنسا ومستعمراتها كلها مستعمرة واحدة يهودية ، بل نستغرب مطالبة اليهود بوطن قومي ، مع ان فرنسا كلها وطن قومي لهم .. » (١.٨) .

وهذا الحكم لم يصدر من الكاتب عن تجن او عن نظرة ضيقة او حماس قومي وانما عبر عن واقع كانت الحركة الصهيونية تحتل فيه مكاناً بارزاً في السياسة والاعلام والاقتصاد الفرنسي ، كما كانت وما زالت تهيمن في هذه المجالات كلها في بلدان اخرى حتى اليوم ، ولعل امريكا تمثل قصة هذا النفوذ والسيطرة في عصرنا هذا ، اما في ذلك الوقت فان الكاتب يتحدث عن فرنسا لانها كانت تستعمر الجزائر والمغرب العربي كله ، ويكرر ما ذكره سابقاً من ان فرنسا لم تفكر لا في عواطف عرب هذه المنطقة ولا في مصالحها معهم ، وانساق وراء شعورها الخاص او تحت تأثير الصهيونية واعلنت عن نواياها المائلة للصهيونية وتحت تأثير امريكا « ودولاراتها » مع ان فرنسا ترد باستمرار بانها لا تعادي المسلمين فهي تعلن امراً وتفعل ضده (١.٩) .

ونحس بالمرارة في نفس الكاتب من هذا الموقف فيعبر عن بأسه وهو شعور كان يحسه الجزائريون في تلك الفترة ويدفعهم الى القضب من هذه التصرفات غير العادلة .

ولما وقعت الكارثة ، وخسر العرب المصركة عام ١٩٤٨ حزن الجزائريون وازدادت المرارة في نفوسهم ، لان هزيمة العرب تصيبهم في الصميم وتشعرهم بالدونية والاحتقار سواء من العمرين او من اليهود الصهاينة ، وباتي الشعر ليبر عن هذا الحزن وعن هذه المرارة اكثر من النثر لانه اسرع في التعبير عن الانفعال في تلك اللحظة التي عصفت بالعرب جميعاً لاهل فلسطين فحسب ، ولكن اليراهيمي ينقل بقوة لهذه الحقنة . فيكتب فيها خواطر تشبه الشعر يصور بها ما لحق الفلسطينيين من حيف وتشرد ، ويستغل مناسبة عيد الاضحى فيتفجر قلعه ويهاجم هؤلاء الذين يفرحون في العيد وفلسطين يفتالها اليهود : « النفوس حزينة ، واليوم يوم الزينة ، فماذا نصنع ؟ اخواننا مشردون ، فهل تحسن من الرحمة والعطف مجردون ؟

تتفاضنا العادة ان نفرح في العيد ونبتهج ، وان نتبادل التهاني ، وان نطرح الهموم وان نتهادى البشائر : وتتفاضنا فلسطين ان نحزن

(١.٦) المصدر السابق ص : ٥١٣ .

(١.٧) المصدر السابق ص : ٥١٤ - ٥١٥ .

(١.٨) المصدر السابق ص : ٥١٦ - ٥١٧ .

(١.٩) المصدر السابق ص : ٥١٧ .

والنعيم ، وادعنا فيه الذخائر الغالية من رفات الاجداد - وطن عربي المنتسب ، يشهد بذلك القلم واللسان ، والاسماء والافعال ، وتشهد بذلك التواريخ المكتوبة ، والاخبار غير المكتوبة ، فاذا تظلم وتالم فلسطين ، وامتنع وارتفض للعنوان عليها ، واذا نهض يواسي ويعين ، ويسعف ويسعد فهو حقيق بذلك وان ذلك لبعض حلق فلسطين عليه .. » (١.٥) .

فالكاتب بهذه المقدمة الطويلة لمقاله اراد ان يمهّد للموضوع الاصلي وهو واجب فلسطين على العرب ، ويرفض ان يكتفوا بالتفجع والتوجع والتنظّم والتأمم والاقوال ، وانما يطالب باشياء اخرى ، يطالب بالوان من المساعدة والتأييد اكثر حسماً وفمالية ، كما يطالب بتصميم على النضال حتى النصر ، والحسم بدل التردد ووحدة الرأي بين القادة ونبد الخلافات ، ويحمل الكتاب والشعراء المسؤولية كما حملها للحكومات والشعوب ، ويطلب منهم ان يبثوا الوعي والحماس في النفوس وان يبثروا الهمم ويفجروا الطاقات في الجماهير .

ويختم بان العرب لو وجدوا هذا كله لاصبح لهم شأن في الغرب غير ما هو عليه وفي المجتمع العالمي عامة .

وقد عبر الكاتب في مقال اخر عن عروبة المغرب العربي (١.١) وعن تجاوب ابنائه مع عرب فلسطين ، ولكنه يشرح كيف ان وضعهم يختلف عن وضع عرب المشرق العربي ، اذ ان ظروفهم صعبة تحت الاحتلال الفرنسي الذي يشجع اليهود ويتفاضي عن اعمالهم ، فاذا جمعوا الاموال فانه لا يحرك ساكناً واذا فتحوا باب التدريب على السلاح في معسكرات خاصة بهم تجاهل ذلك ، بينما لو فعل العرب في الجزائر مثل هذا « لقامت قيامة الاستعمار الفرنسي .. » (١.٢) .

ولقد سجل الكاتب المفارقة العجيبة التي عاصرها حين كان الجزائريون يتخفون ليهاجروا الى فلسطين ويشاركوا في الحرب ضد المحتلين فيقال لهم انهم « فرنسيون » او « منجنون » (١.٣) وحتى جمع الاموال لفلسطين كان من المحرمات عليهم .

وتملأ الحسرة نفسه وهو يشاهد هذا التواطؤ من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية ومن اوربا كلها ضد الجزائر والعرب ، ويظهرون روحاً عنصرية مالمها نظير في حين يتهمون العرب بالعنصرية ، ويتكهن بمصير العنصريين اينما كانوا ثم يسخر من « العالم المتحضر » الذي اصبح يهودياً اكثر من اليهود انفسهم : « وآمنا بان السحر الذي ابطه موسى قد احياء اشباعه ولكن بغير ادواته ، ابطه بمصا الخشب واحيوه بحبال الذهب .. » (١.٤) .

وتثور فيه نخوة العربي او فروسيته فيعصو الاعداء ، اعداء العرب الى المبارزة ، بحيث يكون جيش الصهاينة اكثر من جيش العرب بمقدار الثلث بشرط واحد هو التكافؤ في السلاح ، فاذا انتصر الاعداء سلم العرب بزعمهم في فلسطين ، واذا انتصر العرب تبقى فلسطين عربية كما كانت « تغل اليهود الاصلاء بالرعاية والحماية ، وتجلي اليهود الخلاء .. » (١.٥) .

وهذه بلا شك نظرة ساذجة نادى بها « الامير عبدالقادر » ايام حربه ضد الاحتلال الفرنسي حين طلب من القادة الفرنسيين مبارزته

(١.٥) المصدر السابق ص : ٥٠٦ .

(١.٦) عنوان المقال هو : « اما عرب الشمال الافريقي .. » المصدر

السابق ص : ٥١١ .

(١.٧) المصدر السابق ص : ٥١١ .

(١.٨) اي يعيشون تحت الحصار والمراقبة الشديدة في ظل الاستعمار ، والكاتب يشير بهذا الى الظلام الذي كان يعيش فيسه الجزائريون في ذلك الوقت .

(١.٩) المصدر السابق ص : ٥١٢ .

(١.٥) المصدر السابق ص : ٥١٣ .

لمحتها . ونغتم ، ونعني بقصيتها ونهت (١١٠) .

بمثل هذه الصرخة يعبر الإبراهيمي عن اللوعة والاسى للكبنة التي شردت الشعب العربي الفلسطيني ، ويطلب العرب بالعمل ، لا بان ينحروا الذبائح :

« أيها العرب : لاعيد ، حتى ننفذوا من صهيون الوعيد ، وننجزوا لفلسطين المواعيد ، ولا نحر ، حتى تقذفوا بصهيون في البحر » (١١١) .
ويصور وقع الكارثة عليه حتى الجمت نفسه عن الكلام وقلمه عن الكتابة : « ان بين جنبي ألما ينزى ، وان في جوانحي نارا تنلظى ، وان بين اناملي قلما سمته ان يجري فجمع وان يسمح فما سمع وان في ذهني معاني انحى عليها الهم فتهاقت ، وان على لساني كلمات حبسها الهم فتخافت » (١١٢) .

وفي هذا تجسيد لما حل به وبالعرب اجمعين فقد رسم صورة للهلح الذي استبد به بل بنفوس الجزائريين في تلك المحنة ، وزاد من حدة هذا الاحساس ان الجزائري كان يمنع حتى من اظهار مشاعره وتعاطفه نحو اشقائه ، لانه تحت سيطرة استعمار اشد قسوة من انواع الاستعمار الاخرى ، فلا يترك فرصة للناس لمجرد التنفيس عن حرمانهم فهم يختنقون ويموتون غيظا وكمدا وهذا ما عبر عنه الكاتب في هذه القطعة التي اختار كلماتها كما اختار لها السجع الذي يناسبها .

ويستغل اسلوب السجع في قطعة اخرى في سجع اخر من سلسلة كتبها في تلك الفترة ايضا (١١٣) ، واذا كانت افكارها قد سبق ان عبر عنها في مقالاته ، فانه من حيث الاسلوب قد اعطاها شكلا جديدا اكثر تأثيرا لانه احيا به سجع الفناء وطريقتهم في التصوير والتحويل والمبالغة واظهار قدرتهم على البيان واللغة ، يقول : « نار للرب في فلسطين ، لم تنبت عليه شجرة من يقطين ، وشياطين تنزو للافراء اثر شياطين ، ويوم في اعناقكم بيوم حطين ، تنسبه غريزة الماء والطين ، فتذكره بعزة الجنس والدين ، انسيتم يوم نادوا مصبحين ، وتنادوا مسلحين ، وتنادوا مصطلحين ، وتعاووا من كل حنب ونهاووا من كل صوب لؤبان ، تقدمها رهبان وغربان ، تظللها صلبان ، بنفوس من الحقد نائرة ، وقلوب بالفضاء فائرة ، تنازعكم آرت الاسلام ، ومعراج نبيي السلام ؟ انسيتم ما فعله صلاح الدين بالمعتدين » (١١٤) .

ويستمر على هذا الوتيرة في تفرغ العرب ولومهم مطلا سبب تكالب الغرب واتحاده ضدهم ، وكذلك سبب انكسار العرب وهزيمتهم وانتصار اليهود وتحقيقتهم لهدهم ، فهؤلاء اعتمدوا على اليقظة وحسن الاعتماد واستخدام العلم والاتحاد والتكاتف وكذا القيادة الموحدة اما العرب فقد اعتمدوا على النفيض : « جاؤوكم على قلب رجل واحد ، وجئتوهم بقلوب متنافرة ، فادهم الى الظفر قائد واحد وراي جميع ، وقادكم الى العار قواد متشاكسون وراي شتيت ، ما اضاع السيادة الا توزيع القيادة ، اجتمعوا واقتربتم ، فسلموا واحترقتم » (١١٥) .

بهذه الجمل القصيرة الموجزة حلل الكاتب اسباب الانتصار والهزيمة بل لخص بها واقع العرب عام ١٩٤٨ ، ويذكرنا حديثه هذا بالمعبرة التي قالها المفكر العربي المعروف « ساطع الحصري » حين سئل في ذلك العين : كيف هزم العرب وكانوا سبعة جيوش ؟
فاجاب : لقد هزموا لانهم كانوا سبعة جيوش .
وكلا الكاتبين كان هدفهما التأثير وايقاظ النفوس والاذهان على

الواقع المرير ، ويلخص «الإبراهيمي» بعد ذلك في مقاله موقف العرب بعد تلك المحنة بقوله : « ايها العرب : بعضكم ابرار ، وجلكم اشرار ، وكلكم اغرار » (١١٦) .

فالكاتب حائق ساخط على العرب فهو يصدر في حكمه هذا الذي قد يبدو مبالغا فيه ، عن ازمة روحية وشعور بالذل مما لحقه ولحق العرب جميعا من عار وهزيمة ، ولكن دون شك كان صادقا في التعبير عن هذا الشعور ، ولم اقرأ نثرا جميلا يصور الكارثة لغير « الإبراهيمي » وان قرأنا شعرا جيدا مصعبا عن الجرح العميق والالام الممض مما لحق فلسطين على يد الاستعمار والصهيونية من اغتيال لها وللحق والعدل ، فهي مثل فريد في التاريخ يقوم شاهدا على ان القوة يمكن ان تنتصر اذا لم تجد ارادة اقوى منها ، بل ان هذه القضية تمثل خرقا لناهوس الكون ، لذلك فان بعض الكتاب الجزائريين اندهشوا لما حدث ، ومن ثمة اصيبوا بصدمة عنيفة زلزلت نفوسهم ، فكتبوا نثرا يرقى الى درجة الشعر في بعض اساليبه من حيث هدة الانفعال وقوة التعبير ، مع ان هنالك كتابا آخرين - وفي هذه الفترة بالذات لم تطف عواطفهم على اذهانهم ، فاستخدموا النثر لبيان ظروف القضية والملاسات التي احاطت بها وبرهنوا على ارائهم بالمنطق والعقل ويمكن ان نشير الى مقالات كثيرة في هذا المجال بأفلام كتاب ارتبطوا بالحركة السياسية الوطنية وخاصة كتاب جريدة « المغرب العربي » التي تساند حركة انتصار الحريات الديموقراطية ، ففيها مقالات اضافية تهتم بالاحداث لا بالاسلوب ، وتعني بالذوايع والاسباب والظروف والصراعات السياسية والاقتصادية ، بصرف النظر عن الصياغة او جمال التعبير ، الامر الذي يختلف عن مقالات الاصلاحيين في هذا المجال باستثناء احمد توفيق المنهي الذي كان يميل الى اسلوب التحليل اكثر من اسلوب الانشاء ووصف الاحداث وتصويرها (١١٧) .

اما كتاب جريدة «المغرب العربي» كما سبق القول فقد تابعوا القضية بعد الحرب الثانية وركزوا على مختلف الجوانب لقضية فلسطين عربيا وعالميا ، ومن العناوين نذكر اتجاه هؤلاء الكتاب مثل : « دولة المصالح تبني هياكلها على جماجم العرب بفلسطين » (١١٨) .

وقد كانت هذه المقالات تتابع ما يجري على الساحة الجزائرية والاجنبية ، وتتقصى اخبار اليهود في الجزائر وتكشف مواقفهم وصحفهم السرية التي « تحرض الفرنسيين على العرب » (١١٩) . كما كانت تتابع اعمال اليهود في الخارج مثل شرائهم للأسلحة ، وبالطبع فان الكتاب في هذه الجريدة كانوا يعنون بالعلاقات بين العرب واليهود وخاصة ما فعله الجزائريون تجاههم ومعاملتهم لهم (١٢٠) .

ونلاحظ في هذه الجريدة عناية بنقل الاحداث خاصة عندما حاول كثير من الشباب من الجزائر والمغرب ان يلتحقوا بفلسطين فالتقت عليهم القبض انجلترا وفرنسا :

« وجميع هؤلاء الشبان الجزائريين والمراكشيين كانوا في طريقهم الى مصر حيث ينوي اكثرهم الالتحاق بجموع المقاتلين العرب الذين يستعدون لخوض غمار الجهاد لانقاذ فلسطين ، وينوي بعضهم ان يلتحق بمعاهد القاهرة يطلبون العلم فيها » (١٢١) .

وكانت بعض المقالات توقع باسم مستعار خوفا من السلطة الفرنسية

(١١٦) المصدر السابق ص : ٦٠٢ .

(١١٧) كان يكتب في البصائر تحت عنوان ثابت هو « منبر السياسة » .

(١١٨) « المغرب العربي » عدد ٤٣ سنة ١٩٤٩ .

(١١٩) انظر ايضا اعداد : ٤٤ سنة ١٩٤٩ ، ٢٤ ، ٢٧ سنة ١٩٤٨ .

(١٢٠) المغرب العربي : عدد ١٥ سنة ١٩٤٧ .

(١٢١) المغرب العربي : ٢٦ ديسمبر ١٩٤٧ (كان صاحب المقالات

حول فلسطين يوقع بأعضاء : « سياسي مستقل » ولعله الزاهري الذي كان رئيس تحرير الجريدة في تلك المرحلة .

(١١٠) المصدر السابق ص : ٥١٨ .

(١١١) المصدر السابق ص : ٥١٨ .

(١١٢) المصدر السابق ص : ٥١٨ .

(١١٣) هذه السلسلة اطلق عليها الإبراهيمي « سجع الكهان » وكان

يوقعها بأعضاء « كاهن الحي » انظر المصدر السابق من ص ٥٨٧ - ٦٠٤ .

(١١٤) المصدر السابق ص : ٦٠١ - ٦٠٢ .

(١١٥) المصدر السابق ص : ٦٠٢ .

لان الجريدة سياسية . ومع هذا فهناك مقالات اخرى تبدو ادبية الى حد ما وتعتبر عن شعور صاحبها واسلوبه الخاص وعاطفته القوية وعنايته بالصياغة والصورة المعبرة .

ومهما يكن من امر فان كتاب المقال الادبي والاصلاحي والسياسي، قد برهنوا على وعي بقضية فلسطين سواء بعد حرب ١٩٤٨ او قبلها وسواء فيما يتعلق بالصراعات السياسية او غيرها او فيما يخص مسؤولية العرب نحوها ونحو عروبة ابناءها ، ويمكن التاريخ للقضية منذ وقت مبكر وحتى بعد النكبة من خلال نثر الكتاب ومقالاتهم .

وحين قامت ثورة نوفمبر ١٩٥٤ شغل الجزائريون بها وبالواقع الوطني ولكنهم لم ينسوا فلسطين في خواطرهم ومشاعرهم ، بل كانوا يفكرون في اليوم الذي يتاح لهم فيه بعد التحرير ان يسهموا فيها وان يعوضوا ما حرمهم الاستعمار من القيام به ، كذلك فان معظم الصحف بل كلها قد توقفت بعد الثورة بقليل ولم يبق سوى جريدة « المجاهد » الناطقة بلسان جيش التحرير الوطني ، ولكن حرب التحرير بالجزائر كان ينظر اليها باعتبارها طريقا لتحرير فلسطين ودعمها للنضال العربي عامة ، ولذلك حين استقلت الجزائر عادت فلسطين لتحتل مكانها في كتابات الجزائريين شعرا ونثرا ، لا بأسلوب العاطفة وحدها ، بل بأسلوب فيه عمق ووعي بما حدث وبتاريخ القضية وتطوراتها ، وادراك لما يجب ان يسلكه العرب من سبل لاسترداد الارض السليبية وعودتها لاصحابها الشرعيين وهكذا عاد الكتاب لمتابعة ما انقطع اثناء الثورة فيما يتعلق بقضية فلسطين وبعد ان تأسست صحف ومجلات وطنية ، فحين ظهرت جريدة « الشعب » عقب الاستقلال بدأت تنشر الدراسات المفصلة عن قضية فلسطين والمقالات التي تناولها من الناحية التاريخية والسياسية والقومية (١٢٢) بل كانت تنشر مقالات لكتاب عرب من المشرق عالجوا القضية من زوايا مختلفة (١٢٣) .

كذلك فان « المجاهد » الاسبوعية قد عنيت عناية خاصة بدور الصهيونية في المؤامرة ، وبالحدوث الفصل عن فلسطين منذ القديم وعرض الصراع بين العرب واليهود والحديث عن المقاومة الفلسطينية ، كما اهتم كتاب المقالات بالشخصيات التي لعبت دورا بارزا في أحداث فلسطين المعاصرة عربا كانوا او اجانب (١٢٤) .

وحين وقعت نكسة ١٩٦٧ او ما اصطلح على تسميته بالنكسة اهتزت لها النفوس واحداثت شرما كبيرا في وجدان الكتاب والشعب معا ، ومن ثمة رأينا تيارا متواصلا من المقالات والقصائد والخواطر والدراسات المتنوعة التي تعالج دور الأدب في الحركة وتهتم بكل ما له صلة بالموضوع من قريب أو بعيد .

وعاد الكتاب الى الحديث عن تقسيم فلسطين وعن وعد « بلفور » ثم تحليل عوامل الهزيمة الى غير ذلك من الأمور التي لها علامة مباشرة او غير مباشرة بالكارثة (١٢٥) وبالرجوع الى الصحف والمجلات ندرنا كيف ان الكتاب عاشوا القضية الفلسطينية والقضية العربية في أعماقهم وضمائرهم وبينما ركز الكتاب قبل الاستقلال على انجلترا واحتضانها لليهود وتأييدها لهم ، اتجه كتاب ما بعد الاستقلال الى التركيز على دور أمريكا في العدوان على العرب ومساندتها للصهيونية بعد ان ادركوا حقيقة الاستعمار الامبريالي الامريكي ونواياه تجاه العرب عامة (١٢٦) . وقد برزت اسماء كثيرة بعد الاستقلال كرسوا كثيرا من كتابتها لقضية فلسطين مثل محمد الميلي « ومحمد العربي ولد خليفة » م. دين

(محمد بوغروج) ومحمد امصايف « وعمر الرناوي » وغلام الله ومحمد فضيل ومحمد الصغير الاخصري ومحمد انهواري وعبد المجيد حروز وغيرهم من الكتاب الذين عالجوا القضية من شتى جوانبها .

ولعل من المجلات التي اهتمت اهتماما خاصا بقضية فلسطين من الناحية العسكرية والحربية مجلة « الجيش » التي كانت تنشر دراسات عميقة حول فلسطين وقضية الشرق الاوسط وتعلق على الاحداث بعقوفهم كبير لنعصر وصراع العرب مع القوى الاستعمارية ، كما نشرت فيها سلسلة مقالات حول الموضوع بامضاء م. دين ، نشر بعضها « بالمجاهد » ايضا وهي مقالات حادة فاسية موجزة تعبر عن موقف الكاتب من قضية فلسطين وشرق الاوسط بوجه عام وتعرض لموقف الجزائر من هذه القضية ، وقد اختار لها أسلوب الصراحة الذي لا يجامل أو يرائي بل يشير الى الداء والنداء معا (١٢٧) .

وهناك سلسلة أخرى كتبها « محمد امصايف » حلل فيها القضية وموقف الجزائر منها ودورها للمستقبل ، وفيها اشادة بطلائع الكفاح المسلح الفلسطيني وتركيز على المقاتلين في الجبهة .

ولا شك ان أساليب الكتاب قد تنوعت واختلفت من حيث الصياغة ومن حيث عنف الانفعال أو هدوئه أو من حيث الإيجاز أو التركيز أو التطويل والاطناب ، ويمكن ان نضرب مثلا للمقالات الموجزة التي تتفجر عاطفة وحماسا وأسى أيضا بمقال الاسبوع الاسود (١٢٨) بقلم م.دين ، ففي بدايته تشعر بعق المساة في نفسه واحساسه بالمرارة والشويرة :

« بكل الآمال التي تحطمت في نفسي ، بكل المرارة التي تجرعتها مع احتضار الاسبوع الاسود من جوان ، بكل العواصف التي تعربد في اعماقي ، مواطن من هذا البلد الشجاع المؤمن الصامد ، ممزق النفس بين نهول الصدمة وانفعالات التصميم على رفض الهزيمة » (١٢٩) .

ثم يدخل في التساؤلات عما حدث وكيف ؟ ولماذا ؟ ويحاول الاجابة على هذين السؤالين ، وبهذه الاجابة تتضح الحقيقة ويظهر تواطؤ الاستعمار المستمر ضد البلاد العربية ، كما يظهر أيضا ضعف العرب واعتمادهم على الكلام بدل الفعل ، ويعرض نوع من التفصيل للماضي والحاضر في أسلوب مركز ، بالرغم من ان المقال يبدو طويلا بالقياس الى مقالاته الأخرى في الموضوع .

اما النموذج الثاني من المقالات الطويلة فيتمثل فيما كتبه غيره مثل محمد امصايف في سلسلته التي كتبها حول فلسطين والنكسة وعرض فيها آثار الهزيمة نفسيا وسياسيا وعسكريا كما تتبع النضال الفلسطيني وعلق على معركة الكرامة وما ترمز اليه ، ويربط بين كفاح فلسطين والجزائر وموقف الجزائريين من القضية ورأيهم في حلها (١٣٠) .

واسلوب الكاتب يميل الى الوضوح والبساطة وإلى هدوء التعبير ولكن حين يكون الحديث عن المواطنين الفلسطينيين وما يتعرضون له من قمع وارهاب على ايدي الصهاينة يميل الى الانفعال والحماسة :

« فكم من امرأة دبست كرامتها ، وفقدت الكفيل والأمل في حياة عادية ، وكم من شاب شاخ قبل الاوان فأمسى ضحية الرض والعري والبطالة ، وكم من صبي لم يكد يرى الوجود حتى حكم عليه بالسقم والمرض والجهل والضياع ... » (١٣١) .

(١٢٧) طبعت مع مقالات أخرى في كتاب انطباعات م. دين مطبعة البحث، قسنطينة الجزائر ١٩٧١ (انظر الجزء الثاني ص : ٦١٦ : ٨٥٤) .

(١٢٨) انطباعات ص : ٦٣٧

(١٢٩) المصدر السابق ص : ٦٣٧ .

(١٣٠) انظر مثلا الشعب ١٩ يونيو و ٢٢ ديسمبر و ٢٧ مارس و ٢٢ أكتوبر ١٩٧٠ .

(١٣١) الشعب : ٢٢ ديسمبر ١٩٦٩ .

(١٢٢) « الشعب » : ٢٢ ، ٢٩ ديسمبر ١٩٦٢

(١٢٣) « الشعب » : ٢٩ ديسمبر ١٩٦٢

(١٢٤) المجاهد الاسبوعي « أعداد ٢ جانفي ٦٦ : ١٢ فيفري ، ١٠

سبتمبر ١٩٦٤ ، ١٥ ، ٢٢ أوت ، ٥ ، ١٩ سبتمبر ١٩٦٥ .

(١٢٥) الشعب « ٣ ، ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، يوليو ١٩٧٦ .

(١٢٦) انظر مجلة القيس ماي نوفمبر ١٩٦٩ .

الذي جسد المقاومة بأجلى صورها وأعطى الأمل في العودة ، هذا الخط هو ان فلسطين لا يحررها الا الكفاح المسلح والتضحيات ووحده الجهود والأهداف والمصير أي أن شرط العودة هو وحدة العرب وتوحيد مواقفهم وأساليبهم . والكتاب الجزائريون يصدرن في رؤيتهم هذه عن تجربة طويلة مع الاستعمار ومع اليهود أنفسهم ، ويصدرون عن مبادئ ثورة نوفمبر التي حررت الجزائر من سيطرة الاستعمار الأجنبي وهذا هو طريق فلسطين .

رابعا : أما فيما يتعلق بأساليب الكتاب فانها كما أشرنا - تتراوح بين الأسلوب الأدبي الذي يعبر عن مزاج الكاتب وقدرته وثقافته ورؤيته الخاصة وعنايته بالبيان والجمال والتأثير ، وبين الأسلوب الصحافي العادي .

صحيح أن المقال الأدبي أيضا قد لا تتحقق فيه الوحدة المعنوية التي تربط بين أجزائه وذلك نظرا لان القضية التي يعالجها قضية حية في نفوس الناس وضمائرهم مما يجعل الكاتب ينتقل من موقف الى آخر أو يكرر أفكار أرددها في مقالات سابقة ولكننا مع هذا نجد مقالات أخرى تراعي سمات المقال وتعنى بالتركيز والتدرج في معالجة الموضوع .

وقد لا نستجيب اليوم لبعض الأساليب البثرية في هذه المقالات ، خاصة تلك التي كتبت سجعا أو روعي فيها قدر من السجع كما روعي فيها الاحتفال بالبلاغة العربية التقليدية أو العناية بفرائب اللغة ومسا إليها ، قلت قد لا نستجيب لها اليوم ولكنها في تلك الفترة التي كان التركيز فيها على التراث وأحيائه وعلى اللغة العربية وبفائها لتعبر عن خوالج الكتاب لانها اعتبرت غريبة في وطنها ، وكانت هذه الأساليب محل اهتمام المتلقين واعتبارها نموذجا راقيا للبيان العربي .

ومهما يكن من أمر فان كتاب النشر فيما يتعلق بقضية فلسطين قد عبروا عن تعاطفهم الواضح مع فلسطين ومع الأمة العربية ووجدوا ارتباط الجزائر بالعالم العربي ، واعتبروا القضية قضيتهم وأنهم طرف فيها ، وأن الاستعمار الفرنسي لم يستطع أن يضعف عاطفة العروبة في نفوس الجزائريين بل أنه غذاه بمواقفه ضد الشعب الجزائري الذي يعتبر فلسطين جرحه الذي لا يندمل الا بعودتها لابنائها وللأمة العربية .

الجزائر

ومن غير شك فان الحديث عن المهاجرين الفلسطينيين يتطلب أسلوبا كهذا ، بل ان انكاتب ينساق وراء عاطفته القومية فيظهر انه وحزنه لما يجري في فلسطين ، وهذه سمة في مقالات الجزائريين التي عرضت لما حل بعرب فلسطين من عذاب وقتيل ، في حين أن المقالات الأخرى التي تناقش القضية وظروفها لا تظهر فيها بصورة قوية عواطف الكاتب ومشاعره .

والواقع أن من الصعب كما أشرت أن تعرض لكل ما كتبه الجزائريون من نثر حول هذه القضية ، بل يصعب حتى مجرد الإشارة الى مقالاتهم ، فالجمال لا يسمح بذلك الى جانب أن عملا كهذا يحتاج الى دراسة مفصلة لأساليب الكتاب ورؤاهم الخصبية تجاه القضية وتنوع ثقافتهم وتجاربهم الفكرية والسياسية ، وانما أردت فقط أن أرسم في هذا البحث خطوطا عريضة لمسار النثر الجزائري في هذا الموضوع .

على أنه يمكننا أن نسجل في الختام النتائج التالية :

اولا : ان كتاب ما قبل الاستقلال غلبت عليهم النظرة الدينية للقضية بينما بعد الاستقلال غلبت عليهم النظرة القومية لطروف كثيرة ، بعضها يتصل بثقافة الكتاب واتجاهاتهم الفكرية ، وبعضها يرتبط بالمرحلة التي مرت بها الجزائر وتأثر الكتاب بهذه المرحلة أو تلك وبعضها يعود الى تطور الأحداث نفسها وتطور الأفكار والمفاهيم .

فالفكر الديني سيطر على الكتاب في المرحلة الاولى نتيجة أنهم كانوا اصلاحيين ينتمون الى الفكر الديني الاصلاحى في حين أن كتاب المرحلة الثانية تأثروا بالفكر القومي الوحدوي الى جانب تعدد منابع ثقافتهم .

ثانيا : أننا ركزنا الاهتمام على المقال الأدبي أكثر مما ركزنا على أنواع النثر الأخرى لان إنتاج الجزائريين حول فلسطين في الأشكال الأدبية البثرية الأخرى قليل الى حد ما ، ولأنه يدخل في التاريخ للادب بوجه عام فيما يتعلق بالقضية مما يمكن أن يكون مجال دراسة أخرى .

ثالثا : هناك ملاحظة هامة هي أن خطا واضحا يربط بين الكتاب سواء في بداية ظهور القضية على المسرح العالمي او في تطورها عبر المراحل التي مرت بها حتى النكسة وظهور الكفاح المسلح الفلسطيني

خليل مطران

مختارات من شعره

قدم لها الشاعر

احمد عبدالمعطي حجازي

يصدر هذا الشهر